الملف

الفكر المعماري العربي

"جذوره وأبعاده"

د.بديع العابد

معماري استشاري

نائب رئيس الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم

عمان – المملكة الأردنية الهاشمية

badi@go.com.jo

▪ **الاستشهاد المرجعي بالدراسة:**

بديع العابد ، الفكر المعماري العربي: جذوره وأبعاده.- دورية كان التاريخية.-

العدد التاسع ؛ سبتمبر ٢٠١٠. ص ١٢٦ – ١٤٥. (www.historicalkan.co.nr)

المدرسة الأثرية العربية

مقدمـــــة

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمدرسة الأثرية العربية ، وذلك بتوضيح نشأتها وأهدافها ، وعناصر فكرها وأسلوبها وطرق تفسيرها ، كما ورد في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ، ثم نعرض لآراء ولمساهمة العلماء المسلمين في تشكيل فكر هذه المدرسة وتكوينه. وتتطرق الدراسة بعد ذلك لدورها في تسجيل المنجزات الحضارية العربية وتوثيقها وتفسيرها في العصر الجاهلي وعلى وجه الخصوص المنجزات المعمارية. وتمتد هذه الدراسة على ثلاثة أجزاء : الأول ، سيكرس للعصر الجاهلي وهو موضوعنا في هذه الورقة ويغطي الفترة الزمنية المبتدأة بنشأة الشعر الجاهلي إلى ظهور الاسلام ، وسيكرس الجزء الثاني ، لدراسة الفكر الأثري بالقرآن الكريم ، أما الجزء الثالث ، فسيكرس لدراسة انجازات العلماء المسلمين الأثرية من جغرافيين ومؤرخين ورحالة ، وسيعنى الجزءان الأول والثاني بأسس وقواعد علم الآثار ومنهجه التفسيري والفكري ، أما الجزء الثالث ، فسيعنى بتطبيقات علم الآثار ومنجزاته وتطوره.

الفكر الأثري

ينبغي علينا في بادئ الأمر تعريف علم الآثار ، لكي يتسنى لنا التعرف على فكر المدرسة الأثرية العربية. فعلم الآثار[١] هو : الدراسة العلمية للظواهر الحضارية للشعوب الغابرة (الحضارات المنقرضة)، وذلك للوقوف على تاريخ هذه الشعوب والتعرف على طرق معيشتها وتفكيرها وتفاعلها مع البيئة ، ومن هنا كانت دراسة الآثار تشمل جميع أسباب الحياة اليومية للحضارات المنقرضة ، وما خلفته من منشآت معمارية كالمساكن والهياكل ومواد البناء وتقنيته ، اضافة إلى المنشآت المدنية كالسدود ، والمنشآت العسكرية كالحصون والقلاع. كما تشمل الفنون من نحت وتصوير ، وصناعة الحلي وأدوات الزينة والثياب ، وطرق نسجها وتلوينها وتزينها ، وكذلك الصناعات اليدوية ، كأدوات الطعام ، والأدوات الحربية ، وينضوي تحتها أيضا دراسة اللغات القديمة ، لما لها من دور توثيقي من ناحية ، ولكونها معبرة عن تفكير أصحابها من ناحية أخرى ، وربما كانت دراسة الحضارات المنقرضة من خلال اللغة ، أقوى دلالة في التعرف على انجازاتها الحضارية من استقصاء بقايا العمران واستنطاقها ، وذلك لأن الهدف من الاستنطاق والاستقراء هو التوثيق باللغة في نهاية الأمر. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة فالمدرسة الأثرية ، تتشكل من علمين متلازمين[٢] هما: (١) علم الآثار ، (٢) علم اللغات

ويبدو أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر - على الأقل في المرحلة السابقة لانفراد اللغة بالتوثيق بالكامل - كما يبدو أنه من الصعب الفصل بين العلمين فهما يكملان بعضهما بعضا ، فعلم الآثار ، كما أسلفنا ، يهتم بالأشياء والأشكال المادية ، وعلم اللغات يهتم بالنصوص والنقوش والكتابات ، التي تسهم بدورها وتيسر وتساعد على فهم المباني الأثرية ، وتقدم المعلومات عن كثير من الأعمال والأشياء التي لم يبق لها أثر مادي. وسنعرض لدور اللغة عند كلامنا عن الاستقصاء الأثري والتفسير العلمي ، كما سنعرض للعلاقة بين هذين العلمين لاحقا في هذه الدراسة ، وذلك بعد أن نجيب على تساؤل ملح من شأنه أن يوضح أمامنا منهاج هذه الدراسة ، والسؤال هو:هل يصلح علم الآثار بأسلوبه وأهدافه لدراسة الحضارة العربية والعربية الإسلامية ؟

والإجابة على هذا السؤال ذات شقين ، وذلك لأن التاريخ العربي مر بمرحلتين حضاريتين وهما: مرحلة ما قبل الإسلام والمرحلة الإسلامية. أما مرحلة ما قبل الإسلام فتتضمن أيضا مرحلتين حضاريتين[٣]: الأولى ، مرحلة العروبة غير الصريحة ، واللغة العربية غير الصريحة ، والثانية مرحلة ظهور العروبة الصريحة واللغة العربية الصريحة أو لغة القرآن الكريم. أما مرحلة العروبة غير الصريحة فتحتاج لدراستها لعلمي الآثار واللغات وذلك عن طريق التنقيب وتحديد هوية الأثر ، وأصحاب الأثر ومعتقداتهم ، ثم إلى الحفظ والترميم والعرض والنشر ، وهذه الدراسة ليست معنية بهذه المرحلة ، وذلك لأن فكر المدرسة الأثرية العربية لم يتشكل إلا في مرحلة العروبة الصريحة ، ولكننا سنعرض لبعض من انجازاتها المعمارية التي وصلت الينا موثقة في الشعر الجاهلي في مرحلة العروبة الصريحة ، وربما يجدر بنا الإشارة إلى أن كثيرا من الدراسات الأثرية قد كرست لدراسة مرحلة العروبة غير الصريحة[٤].

أما مرحلة العروبة الصريحة فهي التي أفرزت لنا أسس علم الاثار وقواعده وأسلوبه وأهدافه ، والدراسة التي نحن بصددها ستكرس لعرض هذه المرحلة وتحليل انجازاتها. ويجب علينا هنا أن نعي حقيقة واضحة وهي التمييز بين بداية ونشأة كل من الحضارة العربية والمدرسة الأثرية العربية ، فالحضارة العربية قديمة قدم التاريخ العربي[٥] ، في حين أن المدرسة الأثرية ابتدأت مع بداية مرحلة العروبة الصريحة وظهور الشعر الجاهلي ، وذلك بالرغم من وجود كتابات ثمودية ولحيانية ودادنية ومعينية ونبطية ومسندية[٦] وعربية[٧] ، في شمال غرب الجزيرة العربية (الحجر ، العلا ، تيماء ، والبتراء)، وفي اليمن بجنوب الجزيرة العربية ، وبالرغم أيضا من وجود نقوش وكتابات مسمارية وبابلية وكلدانية وآشورية وآرامية وسريانية وكنعانية على الآثار السامية في العراق وسوريا وفلسطين. وذلك لأن الاهتمام بهذه الكتابات لم يأت الا متأخرا بعد ظهور الاسلام (وبعد أن تشكلت وتكونت مفاهيم وعناصر وأسلوب المدرسة الأثرية العربية قبل ظهور الاسلام)، كما هو الحال في محاولات الهمداني والمسعودي والجاحظ وابن النديم والبغدادي وغيرهم ، والتي سنعرض لهم لاحقا في هذه الدراسة ، أما الاجابة على الشق الثاني من السؤال ، فهو أن علم الآثار لا يصلح لدراسة المرحلة الحضارية العربية الاسلامية للأسباب الآتية :

١- ان المرحلة الحضارية العربية الاسلامية بجميع ظواهرها الحضارية مؤرخة وموثقة كتابيا.

٢- ان الاسلام جاء في سنواته الأولى بفكر كامل ، وان جميع الظواهر الحضارية لهذه المرحلة ، بما فيها الظاهرة الحضارية المعمارية كانت نتيجة لافرازات هذا الفكر وليس العكس.

٣- ان المرحلة الحضارية العربية الإسلامية مرحلة متواصلة ، منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان ، بدأت ونمت وتطورت ضمن لغة الاسلام وفكره وفلسفته ، وكانت وما زالت وستبقى قادرة على تحريك وشحن فكر ظواهرها الحضارية ، وبالذات الظاهرة المعمارية التي نحن بصددها في هذه الدراسة.

وحرى بنا قبل أن ننهي الاجابة على السؤال المطروح أن ننوه بنقطة تبدو على جانب كبير من الأهمية وهي ، ارتباط علم الآثار بفلسفة التاريخ العربي[٨] ، والعربي الاسلامي ، خاصة وأن الفكر

الاسلامي عني بدراسة الحضارات السابقة للإسلام للتفكر والتأمل والاتعاظ والاعتبار بما حصل لها ، وربما لهذا السبب نشط العلماء المسلون في دراسة الحضارات السابقة للإسلام ، الأمر الذي أثرى فكر المدرسة الأثرية العربية ، كما سيتبين لنا فيما يلي من عرض وتحليل لمفهوم الآثار.

مفهوم الاثار

الأثر لغة هو بقية الشئ ، والأثر أيضا الخبر[٩] ، وكذلك ورد الأثر بمعنى العين أي "العلامة" ، فقيل "لا أثر بعد العين"[١٠] ، وقيل أيضا : "اقرار العين ببقاء الأثر بعد ذهاب العين"[١١] ، أي أن الأثر دال على وجود العين بعد زوال العين نفسها ، فأثرها أي خبرها باق للدلالة عليها ، وقد ورد مثل هذا المفهوم في شعر نسب إلى الملك[١٢] الحميري أسعد تبع[١٣] :

تلك آثارنا تدل علينـا فانظروا بعدنا إلى الآثار

كما ورد هذا المفهوم في شعر لبيد بن أبي ربيعة[١٤] :

وكذا الزمان يذهب بالناس وتبقى الرسوم والآثار

وقد أكد القرآن الكريم المعاني والمفاهيم السابقة ، ففي سورة "غافر" ورد ذكر الآثار بمعنى البقايا الحضارية ، كما في قوله تعالى : "كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض"[١٥] ، وورد الأثر بمعنى العلامة في قوله تعالى : "سيماهم في وجوههم من أثر السجود"[١٦] ، واستنادا إلى ماسبق ، نستطيع أن نستخلص مفهومين للآثار : أولهما ، ان اللآثار مفهوم متعلق ببقايا الأشياء (الانجازات الحضارية) ، وثانيهما ، مفهوم يختص بالدلالة أو الاخبار عن هذه الانجازات. ومن خلال هذين المفهومين نشأت المدرسة الأثرية العربية ونمت وتطورت ، في بداية الأمر ، ثم العربية الاسلامية فيما بعد. والواقع أن فكر المدرسة الأثرية اتسع وتشعب بمقدار اتساع وتشعب المفهومين السابقين ، فبقايا الأشياء (الآثار) ، قسمها السياغي في معالم الآثار اليمنية ، (ص- ١٠) إلى قسمين[١٧] : قسم ثابت يختص بالمباني والعمران وقسم متنقل يختص بالتماثيل والصور والأدوات ، وهذه الدراسة معنية بالقسم الأول فقط وذلك لتوظيفه في دراسة الظاهرة الحضارية المعمارية العربية. والقسم الخاص بالعمران أيضا مقسوم إلى قسمين: قسم خاص بالعمران الثابت وقسم خاص بالعمران المتنقل. ولقد أفرز لنا القسم الأول عناصر المدرسة الأثرية ، وأفرز القسم الثاني أسلوبها ، وللتعرف على هذه العناصر سنعرض لبداية الشعر الجاهلي ونشأته ، وقد ذكرنا سابقا أن نشأة المدرسة الأثرية ارتبطت بنشأة الشعر الجاهلي ، وأن الشعر الجاهلي تفاعل مع البيئة التي نشأ بها اجتماعيا وجغرافيا ومناخيا ، فكان وما يزال سجلا حافلا بالمنجزات الحضارية والأحداث الاجتماعية والسياسية العربية سواء المعاصر منها لنشأته أو السابق منها على نشأته[١٨] ، الأمر الذي حدى بالخليفة عمر بن الخطاب بأن يصف الشعر بأنه "علم قوم لم يكن لهم أعلم منه"[١٩] . ولقد كانت باكورة هذا السجل الحضاري في شعر منسوب إلى الملك الحميري أسعد تبع[٢٠] :

مآثرنا في الأرض مصداق قولنا اذا ما طلبنا شـاهدا ودليلا
وعلمي بملكي سوف يبلى جدي ويرجع ملكا كاسف اللون ماحلا
وملك جميع الناس يبلى وملكنا على الناس باق ذكره ليس زائلا

وقال أيضا[٢١] :

وريدان قصري في ظفـار ومنزلي به اس جدي دورنا والمناهلا

على الجنة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سدا تقذف الماء سائلا

يتضح لنا أن محاولة تبع لم تقتصر على تأكيد المفهومين السابقين (التوثيق الأثري والأخبار عنه) بل اتسعت لترسم العلاقة بين الأثر والبيئة الاجتماعية والجغرافية والمناخية ، فربطت محاولة تبع بين الأثر واصحابه ، وبين الأثر والمكان ، وبين الأثر والزمان ، كما وضحت لنا طريقة (أسلوب) الأخبار عن الأثر. وهذه العلاقات في واقع الأمر ، هي العناصر التي شكلت ركائز فكر المدرسة الأثرية ، وهي موضوعنا التالي :

عناصر المدرسة الأثرية

١- الانسان
٢- الأثر
٣- المكان
٤- البيئة
٥- الخبر

وهذه العناصر وبخاصة العناصر الأربعة الأولى تداخلت في أسلوب المدرسة الأثرية حتى أصبحت مادة له كما سيتبين لنا بعد قليل ، أما العنصر الخامس فكان نتيجة لتداخل العناصر الأربعة ، كما كان غاية وهدفا لأسلوب المدرسة الأثرية ، بل هو الهدف لكل الدراسات الأثرية ، وقد تكررت هذه العناصر في محاولات لعلقمة بن ذي جذن كما في قوله[٢٢] :

كفى عبرة أن يمس سلحين قد هوى وبينون والدنيا قريب بعيدها

وقال أيضا[٢٣] :

أبعد غمدان لا عين ولا أثر أم بعد بينون يبني الناس أبياتا
وبعد حمير اذ شالت نعامتهـ حثهم ريب هذا الدهر أحثاثا

وقال أيضا[٢٤] :

أولا ترين وكل شئ هـالك بينون هالكة كان لم تعمر
أولا ترين وكل شئ هـالك سلحين مدبرة كظهر الأدبر
أولا ترين ملوك ناعط أصبحوا تسفى عليهم كل ريح صرصر
أوما سمعت بحمير وبيوتهم أمست معطلة مساكن حمير

وقال أيضا[٢٥] :

تعرف في أثارهـم أنهم أساس ملك ليس بالمبتدع
تشهـد للماضيين منا بأن نالوا من الملك ونقب القلع
ما لم ينل غيرهم معشـر يتبعون الدهـر ليسوا تبع

وقال أيضا[٢٦] :

هل لاناس بمثل آثارهـم بآرم ذات البنـاء اليفع
أو مثل صرواح وما دونـها مما بنت بلقيس أو ذو تبع

هذه المحاولات لم تقتصر على تكرار عناصر المدرسة الأثرية فحسب بل تجاوزت ذلك لتوضح وتؤكد طبيعة ونوعية العلاقة القائمة بين المدرسة الأثرية وبين مفهومي الدروس والعبر والتواصل الحضاري في فلسفة التاريخ العربي والعربي الاسلامي ، القائمة على البحث والتنقيب والاعتبار والاتعاظ بما حدث للحضارات السابقة (المنقرضة). كما تمكنت هذه المحاولات من توظيف عناصر المدرسة الأثرية كمادة لأسلوبها ، فاسفر هذا التوظيف عن تحديد عناصر هذا الأسلوب والذي سنعرض له فيما يلي من دراسة وتحليل.

عناصر أسلوب المدرسة الأثرية

١- تحديد هوية أصحاب الأثر
٢- تحديد هوية الأثر واستعمالاته
٣- المـــكان
٤- مـواد البنـاء
٥- المـؤثرات البيئيـة
٦- الاستقصـاء الأثـري

والواقع أن هناك عناصر أخرى، كتقانة البناء والنقوش والكتابات (اللغة) واحدى الظواهر الاجتماعية وهي الدين. ولكن ولمحدودية استعمال هذه العناصر رأينا أن نعرض للأول ضمن تقانة الاستقصاء الأثري، وأن نعرض للنقوش والكتابات واللغة والدين عند الكلام عن التفسير الأثري لاحقا في هذا الجزء.

ولقد تأكدت العناصر السابقة عند شعراء البيئة العدنانية الذين كان لهم دور كبير في تدوين التاريخ العربي، وتوثيق منجزاته الحضارية، سواء كانت هذه المنجزات معاصرة لهم أو سابقة لبداية الشعر العربي ونشأته كما يتضح في شعر امرئ القيس[٢٧]:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى، بين الدخول فحومل
ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها، كأنه حب فلفل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمآل
وان شفائي عبـرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول
وتيماء لم يترك بها جـدع نخلة ولا آطما الا مشيدا بجنـدل

فأصحاب الأثر عند امرئ القيس هم الحبيبة وعشيرتها، والعمران هو منزل محبوبته وديار عشيرتها، والمكان هو الأرض المحصورة بين الدخول[٢٨] وحومل، وتوضح[٢٩] والمقراة، ومواد وتقانة البناء يمكن الاستدلال عليها من العوامل البيئية كالأرض الصلبة، بعد منقطع اللوى، التي تصلح لتثبيت الأوتاد الخاصة بالأخبية والخيام، والمؤثرات البيئية هي رياح الجنوب والشمال، كما تتضح مواد وتقانة البناء والمؤثرات في مدينة تيماء[٣٠] التي أودى بعمرانها سيل[٣١] جارف فلم يبق منها الا الحصون المشيدة بالحجارة الصلبة. ويجدر بنا أن ننوه بأن عرض امرئ القيس لما حدث بمدينة تيماء هو خروج عن المألوف عند شعراء البيئة اليمنية، وقد درج عليه شعراء البيئة العدنانية، فخرجوا عن نطاق التوثيق الاقليمي أوالخاص، كما هو الحال عند شعراء اليمن، ليتناولوا كل المنجزات الحضارية العربية بالتوثيق، الأمر الذي أسفر عن تزويدنا بمعلومات قيمة عن طبيعة العمران في البيئة العربية. ومما يجدر الاشارة اليه أن محاولة امرئ القيس التوثيقية لم تكن ابتكارا بل تقليدا لمحاولات توثيقية سابقة كما ذكر امرؤ القيس نفسه[٣٢]:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

ولم تذكر كتب الأدب[٣٣] من أمر ابن خذام شيئا، ولكننا نستطيع القول بأنه رائد في التوثيق الأثري نهج امرئ القيس وغيره من الشعراء الجاهليين على منهجه.

ويبدو أن التباين في اهتمام كلا الفريقين اليمني والعدناني انعكس على العلاقة بين عناصر أسلوب المدرسة الأثرية، فتباينت العلاقة بين هذه العناصر تبعا لمعايشة الموثق (الشاعر) مع الأثر. فالعامل البشري (الانسان) والعمران عنصران متلازمان لا ينفصلان، فلا وجود للعمران بدون الانسان ولا غنى للانسان عن العمران، ولهذا نجد أن الآثار نتيجة مباشرة وحتمية لانفصال العامل البشري عن العمران. وحيث أن المدرسة الأثرية تعاملت مع نوعين من السكان: الأول مستقر كما في اليمن ومدن الحجاز (مدائن صالح، العلا، تيماء، مكة، المدينة، والطائف)، والمراكز الحضارية في العراق وسوريا وفلسطين، والثاني، غير مستقر ودائم التنقل والترحال من مكان إلى آخر داخل الجزيرة العربية في بوادي الحجاز ونجد والشام والعراق وديار بكر. هذا التنوع الاجتماعي أوجد بدوره نوعين من العمران: ثابت ومتنقل، كما أسلفنا، وبالتالي أسفر على نوعين من الآثار، فكانت آثار العمران الثابت أطول بقاءا وأكثر دلالة على العمران نفسه، وأما آثار العمران المتنقل فكانت سريعة الزوال وضعيفة الدلالة، وقد انعكست هاتان الحالتان علىأسلوب المدرسة الأثرية، ففي الحالة الأولى أخذ الأسلوب صورة التوثيق المطلق المرتبط بالمشاهدة والمعبر عنه بالوصف والتعليق الشامل، وذلك لاستمرار وجود الأثر، ولهذا ربما نستطيع القول أن الاهتمام بالمكان كان المحور الرئيسي في أسلوب المدرسة الأثرية في اليمن كما تبين لنا في شعر تبع وعلقمة وربما يتضح أكثر في محاولة عبيد[٣٤]:

حللنا بدار كان فيها أنيسها فبادوا وخلوا ذات شيد حصونها
فصاروا قطينا للفلاة بغربة رميما وصرنا في الديار قطينها
فسوف يليها بعدنا من يحلها ويسكن عوض سهلها وحزونها

أما في الحالة الثانية فكان أسلوب التوثيق فيها أكثر انفعالا وأعمق تحليلا وذلك لكون التوثيق فيها حقيقة معاشه، عبر فيها الموثق (الشاعر) عن انفعالاته من جراء معايشته للعمران ثم لآثار العمران ولذلك كان التركيز على العامل البشري (المحبوبة وعشيرتها) وعلى المكان في وقت واحد لارتباطهما بذكريات شخصية للموثق، ومن ثم التركيز عليه في المكان الذي كان يقيم فيه وربما لهذه الأسباب كان أسلوب المدرسة الأثرية لآثار العمران المتنقل أكثر دقة وتفصيلا منه بالنسبة لآثار العمران الثابت، أضف إلى ذلك أن العوامل البيئية كانت أكثر تأثيرا في آثار العمران المتنقل منها في آثار العمران الثابت فالعواصف الرملية والرياح الشديدة والأمطار قادرة على طمس وتغطية ومحو آثار العمران المتنقل، ولكنها قليلة التأثير على العمران الثابت الذي لا يتأثر الا بالأعاصير العاتية والسيول الجارفة والاهتزازات والزلازل الأرضية القليلة الحدوث، الأمر الذي تطلب جهدا أكبر وتقانة أعقد في الاستنطاق والاستقراء والاستدلال على آثار العمران المتنقل. اذا نحن بصدد أسلوب توثيقي ذو استقراء واستقصاء تحليلي يعتمد على التعايش مع الأثر عاطفيا ونفسيا واجتماعيا وعلميا، ولقد اعتمد هذا الأسلوب على الملاحظة الدقيقة، وتبين تقانة الوصف والتحليل العلمي كما تبين لنا من شعر امرئ القيس، ولكي نتعرف على هذا الأسلوب بدقة علينا أن نعرض لعناصره بالشرح والتحليل.

١- تحديد هوية أصحاب الأثر

اكتسب هذا العنصر أهميته من واقع الانتماء القومي كما هو الحال في محاولات الشعراء اليمنيين ومن واقع العلاقة الثنائية القائمة بين الموثق وقومه وبينه وبين محبوبته وما تخللها من تجربة عاطفية معاشة شملت الود والقرب والصد والهجران الأمر الذي فرض تسجيل هذه اللحظات العاطفية من واقع التعايش معها، فاتسعت بذلك دائرة التوثيق الأثري لتشمل الأماكن التي شهدت أحداث هذه

العلاقة كمنازل وديار المحبوبة وقومها مما يسر لنا التعرف على مكان الأثر وزمانه. كما كان لشيوع هذه العلاقة في المجتمع الجاهلي الأثر الأكبر في تحديد عناصر المدرسة الأثرية ، وكذلك عناصر وتقانة أسلوبها وقد ورد تحديد هوية أصحاب الأثر فيما تقدم عرضه فتعرفنا على أصحاب الآثار اليمنية كما تعرفنا على أصحاب آثار منطقة الدخول وحومل ، والواقع أن تحديد هوية أصحاب الأثر كان صفة لازمة وعنصرا رئيسيا عند غالبية الشعراء الجاهليين ، خاصة اذا كان الأثر ديار المحبوبة ، وذلك لارتباطه بأسباب عاطفية ونفسية كما أسلفنا ونظرا لشمولية النظرة والاهتمام عند شعراء البيئة العدنانية نجدهم قد تجاوزوا الحدود القبلية وتعاملوا مع آثار غيرهم فحددوا أصحابها الأمر الذي أثرى معلوماتنا الأثرية والمعمارية ، ومثل هذا الاهتمام نجده في شعر زهير[٣٥] :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

ومع أن البيت (الكعبة) ليس أثرا اذ ما زال عملا معماريا يؤدي وظيفته الدينية كبيت لله سبحانه وتعالى ، الا أن تحديد هوية بناته يساعد في دراسة تطور بناء وصياغة هذا العمل المعماري. ونجد مثل هذا التحديد في شعر طرفه[٣٦] :

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

فأصحاب الأثر عند طرفة هم: محبوبته خولة وقومها وكذلك الرجل الرومي الذي يرفض أن تبنى قنطرته الا بالقرميد ، وتعاقبت المحاولات فنجد أن النابغة حدد محبوبته كصاحبة للأثر[٣٧] :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

كما نجد في محاولات الأعشى سجلا حافلا بأصحاب الآثار في المناطق المختلفة من الجزيرة العربية[٣٨] :

فأضحت كبنيان التهامي شاده بطين وجيار وكلس وقرمد

وكما في قوله[٣٩] :

ألم تروا آرما وعادا أودى بها الليل والنهار
بادوا فلما أن تأدوا قفعلىأثرهم قدار
وأهل غمدان جمعوا للدهرمايجمع الخيار
وأهل جو اتت عليهم فأفسدت عيشهم ، فباروا

وكما في قوله[٤٠] :

فاستنزلوا أهل جو من منازلهم وهدموا شاخص البنيان ، فاتضعا

وكما في قوله[٤١] :

فلما أتت أطام جو وأهلهأنيخت ، وألقت رحلها بفنائكا

ولقد كان تحديد هوية أصحاب الأثر عرفا جاريا عند شعراء الجاهلية ، والواقع أن هذا العنصر أكبر من أن تتسع له هذه الدراسة بالحصر والتحديد ، لذل نكتفي بالأمثلة التي أوردناها لتحديد الاطار العام لهذا العنصر ودوره في التوثيق الأثري وعلاقته وارتباطه بتحديد هوية ونوع الأثر الذي سنعرض له فيما يلي بالدراسة والتحليل.

٢- تحديد هوية الأثر واستعمالاته

ارتبط هذا العنصر بتحديد هوية أصحاب الأثر تارة وبتحديد المكان تارة أخرى أو بتحديد أصحاب الأثر والمكان معا. ولقد تعرفنا على نوع الأثر من واقع العلاقة القائمة بين الأثر وبين أصحابه في المحاولات التي عرضناها سابقا ، كما تعرفنا من نفس المحاولات على نوع الأثر من خلال العلاقة القائمة بين الأثر والمكان. فمحاولة تبع نسجت ووضحت العلاقة القائمة بين أصحاب الأثر ونوعه كما في قصر ريدان الذي نسبه لنفسه وكذلك نسجت ووضحت العلاقة بين أصحاب الأثر والمكان من ناحية أخرى ، فقد حدد تبع المكان (منطقة ظفار) الذي يقع فيه قصره. كما نسجت ووضحت العلاقة بين المكان ونوع الأثر كما في الثمانين سدا المقامين على أرض يحصب ، وقد تعرفنا من محاولات تبع أيضا على القبور[٤٢] :

وغيمان محفوفة بالكروم لها بهجة ولها منظر
بها كان يقبر من قد مضى من آبائنا وبها نقبر
اذا مقابرنا بعثر فحشو مقابرنا الجوهر

وقد نهج علقمة على نفس الوتيرة فربط بين أصحاب الأثر ونوع الأثر فحدد لنا المقابر التي نحتوها في الجبال كما حدد لنا عمران وقصور صرواح التي أسهم في بنائها كل من بلقيس وتبع.

ولقد استمر هذا النهج عند شعراء البيئة العدنانية فربطوا بين أصحاب الأثر ونوعه ، وبين المكان ونوع الأثر. ويتضح هذا الربط فيما تقدم ذكره من شعر لامرئ القيس وزهير وطرفة والنابغة والأعشى. وتحديد نوع الأثر يفيدنا في معرفة أنواع المنشآت المعمارية التي كانت مستعملة في المرحلتين الحضاريتين العربيتين: الجاهلية والاسلامية ، الأمر الذي يسر لنا دراسة الظاهرة الحضارية المعمارية من خلال التوثيق الأثري الذي نجده في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ومؤلفات العلماء المسلمين ، ولكننا الآن معنيون بتحديد نوع الأثر في المرحلة الحضارية العربية (الجاهلية). ففيما تقدم عرضه تعرفنا على بعض أنواع العمران التي كانت قائمة في الجاهلية كالقصور والبيوت ولآطام (الحصون) والمقابر والسدود والمباني الدينية كالكعبة الشريفة التي ورد ذكرها فيما تقدم ذكره من شعر زهير وأيضا في شعر الأعشى[٤٣] :

فاني وتوبي راهب اللج والتي بناها قصي والمضاض بن جرهم

وقد ذكر الأعشى مباني أخرى للعبادة ككعبة نجران[٤٤] :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأبوابها

كما تعرفنا على بناء الابراج من شعر الأعشى[٤٥] :

يبني القتود بمثل البرج متصلا مؤيدا قد أنافوا فوقه بابا

وأيضا[٤٦] :

ومغافر سدس تخال محاله برجا ، تشيده النبيط القرمدا

وكذلك عرفنا بعض أنواع المباني التجارية من شعر الأعشى[٤٧] :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاومشل شلول مشلشل شول

كما تعرفنا عليها في شفر طرفه[٤٨] :

فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تلتمسني في الحوانيت تصطد

وكذلك تعرفنا على منارات الأديرة من شعر امرئ القيس[٤٩] :

تضئ ظلاما بالعشاء ، كأنها منارة ممسي راهب متبتل

وتحديد هوية ونوع الأثر يسر لنا التعرف على مبان ومنجزات معمارية لم يعد لها وجود كبعض القصور في العراق ، وكدار الندوة في مكة ، فقد ورد ذكر الحضر في شعر الأعشى[٥٠] :

ألم تر للحضر اذ أهله بنعمى وهل خالد من سلم
أقام بها سابور الجنود حولين تضرب فيه القدم

وتقع هذه المدينة المحصنة (الحضر) في منطقة تكريت بين دجلة والفرات ، وقد حصنها الضيزن[٥١] أحد ملوك قضاعة ، وقد حاول سابور ملك الفرس هدمها على مدار عامين ويبدوا أنه لم يتمكن: ولا يفوتنا هنا أن ننوه بوعي المحاولة التوثيقية وبالذات توثيق

محاولة التخريب. ولهذه المدينة المحصنة قصة طويلة ارتبطت بالأسطورة، وردت في المصادر الاسلامية، وسنعرض لها عند الكلام عن دور الاثاريين المسلمين في تطوير فكر المدرسة الأثرية العربية.

كما تعرفنا من شعر الأسود يعفر[٥٢] على بعض قصور وكعبات اللخميين في الحيرة:

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد أياد؟
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر، ذي الكعبات من سنداد

ويقع قصر الخورنق في مدينة الحيرة وكذلك بارق والكعبات. وقد ارتبط الخورنق بقصة اسطورية سنعرض لها لاحقا عند الكلام عن دور الأثاريين المسلمين.

أما المباني الادارية، كدار الندوة في مكة فقد تعرفنا عليها من خلال كتابات المؤرخين المسلمين[٥٣] وهي أول دار بنيت بمكة، بناها قصي بن كلاب بن مرة، عندما تملك مكة وقد توارثها أحفاده إلى أن اشتراها معاوية بن أبي سفيان وجعلها دارا للامارة[٥٤]. ونستطيع بما سبق أن نتعرف على الدور الذي لعبه هذا العنصر في تحديد أنواع المنشآت المعمارية التي كانت قائمة في العصر الجاهلي وارتباطها في المكان الذي سنعرض له فيما يلي من دراسة وتحليل.

٢- المكـــان

أشرنا فيما سبق إلى أن المكان ارتبط بتحديد أصحاب الأثر، وبتحديد هوية الأثر ونوعه. وهذه العناصر الثلاثة مجتمعة تشكل في رأينا تقانة التوثيق الأثري فهي توفر العناصر الرئيسية لمحاولة دراسة أو اعادة دراسة أثر ما. اذ بواسطتها نستطيع تحقيق شخصية الأثر وتاريخ انشائه والغرض الذي أنشئ من أجله. وأما دور المكان منفردا فيتعلق بتحقيق وتحديد موقع الأثر عند الشروع في أي دراسة أثرية، ويبدو أنه لم يغب عن بال الموثقين (الشعراء) العرب ما لهذا العنصر من أهمية، فعنوا به وحرصوا على تحديده، وتبين لنا هذا الحرص فيما تقدم عرضه من محاولات توثيقية لشعراء البيئتين اليمنية والعدنانية. وقد سبقت الاشارة إلى طبيعة العلاقة بين الأثر والمكان، وإلى تأثير هذه العلاقة على أسلوب المدرسة الأثرية. فثبوت الأثر في البيئة اليمنية زاد من قيمة المكان في التوثيق الأثري، وأضعف من قيمة المكان كوسيلة للاستنطاق والتعرف على الأثر، ولكن عدم ثبوت الأثر في البيئة العدنانية زاد من قيمة المكان في عمليتي التوثيق والاستقصاء الأثريين.

وقد تعامل الموثقون أو الأثاريون العرب مع المكان ابتداء من التقسيم الجغرافي العام للجزيرة العربية، وانتهاء بموقع الأثر (البناء). واجمع الجغرافيون العرب - كما سنعرض لآرائهم لاحقا في هذا الجزء - على أن الشعراء الجاهليين قسموا الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام: الحجاز، تهامة، نجد، اليمن. وضمن الأقسام الأربعة الأولى كانت منازل القبائل العربية العدنانية[٥٥] والقحطانية النازحة إلى البيئة العدنانية. وأما اليمن فكانت مقصورة على العرب العاربة (القحطانيين)، ولقد ورد ذكر منازل وديار هذه القبائل في شعر الجاهليين، ومن خلالها وثقت الأماكن الأثرية وحددت في الجزيرة العربية فنجد ذكر السراة في شعر الفضل اللهبي[٥٦]:

يؤبن مع الركائب كل مصر ويأتين الأقاول بالسـراة

كما ورد ذكر الحجاز في شعر لبيد[٥٧]:

مرية حلت بقيد وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها

كما ورد في شعر طرفه[٥٨]:

ولكن دعا من قيس عيلان عصبة يسوقون في أعلى الحجاز البرابرا

كما ورد ذكر تهامة في شعر ابن براقة الشمالي[٥٩]:

أروى تهامة ثم أصبح جالسا بشعوف بين الشت والطبـاق

وورد ذكر نجد في شعر عمرو بن كلثوم[٦٠]:

يكون تفالها شرقي نجد وساحتها قضاعة أجمعينا

كما ورد ذكر نجد في شعر أبي ذؤيب[٦١]:

في عانة بجنوب السي مشربها نمور ومصدرها عن مائها نجد

وورد ذكر اليمن في شعر عبد يغوث[٦٢]:

فيا راكبا اما عرضت فبلغـن نداماي من نجران ان لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما وقيس بأعلى حضرموت اليمانيا

والملاحظ أن هذا التقسيم الجغرافي أخذ شكلا طوليا باستثناء اليمن فقد شملت الشريط العرضي الجنوبي للجزيرة. وقد حوت هذه الأقسام المدن والمراكز الحضارية المعروفة كمكة والمدينة وصنعاء ... بالاضافة إلى منازل القبائل العربية وديارها. كما اشتملت على مجموعة من الأماكن: كالدارات والبرق (مفردها برقة) والمغاني، والدمن، والمعاهد، والربع، والمحال، وسنأتي على ذكر هذه الأماكن ودورها في التوثيق الأثري عند الكلام عن دور العلماء والجغرافيين المسلمين في بناء وتطوير فكر المدرسة الأثرية العربية. ونكتفي هنا بأن نعرض للأماكن التي سبق ذكرها في هذه الدراسة، فنجد أن قصر ريدان والسدود التي ذكرها تبع تقع في مدينة ظفار وأرض يحصب وكلا المكانين يقعان في اقليم اليمن، كما عرفنا أن قصور بلقيس وتبع تقع في مدينة صرواح وهي أيضا باقليم اليمن. كما تعرفنا على مكان منازل قوم محبوبة امرئ القيس الكائنة بين منطقتي الدخول وحومل بأرض اليمامة، كما تعرفنا على مدينة تيماء كمركز ومكان أثري يقع في شمال اقليم الحجاز، وتعرفنا أيضا على مكان آثار دار خولة، محبوبة طرفة بن العبد، الكائنة ببرقة تهمد، بمنازل بني دارم، وكذلك دارمية، محبوبة النابغة، الكائنة بمرتفع الأرض عند ماء بني سعد المعروف[٦٣] بالسند. أما زهير فقد حدد لنا مكان منازل أم أوفى، الكائنة بحومانة الدراج، عند منقطع رمل الثعلبية في بلاد اسد[٦٤]. أما الأعشى، فحدد لنا مكان حصون طسم وجديس، الكائنة بمدينة جو باليمن، كما حدد لنا مكان كنيسة (كعبة) نجران بأن نسبها إلى المدينة نفسها، وتقع مدينة نجران في جنوب الجزيرة العربية، كما حدد لنا مدينة تيماء كمكان لآثار حصن الأبلق[٦٥]:

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله ورد بتيماء اليهودي أبلـق

وتعرفنا على مكان آثار حصن مدينة الحضر والكائنة في منطقة تكريت بين دجلة والفرات، حيث ديار ومنازل قضاعة أصحاب الأثر. كما تعرفنا على مكان قصر الخورنق في شعر الأسود يعفر، في مدينة الحيرة حاضرة دولة المنادرة. والواقع أن الأماكن الأثرية التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي كثيرة مما يجعلنا نكتفي بهذا القدر، خاصة وأننا لسنا بصدد حصرها، وانما نهدف إلى توضيح فكرة المكان وقيمته الأثرية من ناحية، وأهمية هذا العنصر وارتباطه ببقية العناصر من ناحية أخرى، وبخاصة مواد البناء، والتي سنعرض لها فيما يلي من دراسة وتحليل.

٤- مواد البناء

تعرفنا من خلال العرض السابق على نوعين من البيئة البشرية والجغرافية احداهما بيئة مستقرة ثابتة، والأخرى متنقلة. وقد انعكس

هذا التنوع البيئي والاجتماعي على طبيعة البناء ونوع مواده. فالبيئة الثابتة استعملت مواد البناء الصلبة كالحجارة والرخام والقرميد والجير والكلس والخشب ، أما البيئة المتنقلة فقد استعملت المواد الخفيفة السهلة الفك والتركيب والمتعددة الاستعمال كالمنسوجات الصوفية والجلود والأعمدة الخشبية. وقد ورد ذكر هذه المواد في شعر كل من شعراء البيئة اليمنية والعدنانية ، فنجد في شعر تبع ذكرا لمواد البناء الرئيسية كالرخام والتجميلية كالذهب والجواهر[٦٦] :

ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الأحمر

وقال أيضا[٦٧] :

عرشها شرجع ثمانون باعا كللته بجوهر وفريد
وبدر قد قيدته وياقوت وبالتبر أيما تقيد

كما نجد ذكر لمواد البناء في شعر علقمة[٦٨] :

وأيضـا:

أعلاه فيه رخام عال وأسفلها جروب

وأيضا[٦٩] :

واسأل بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر

وأيضا[٧٠] :

عمرت حمير تشيد قصورا من رخام ومرمر وسلام
نحتوا الصخر في الجبال بيوتا فهمومها بقوة واعتزام

كما نجد ذكرا لمواد البناء ولبعض العناصر التجميلية كالتماثيل في شعر أمية بن أبي الصلت[٧١] :

منطق بالرخام المستزاد له ترى على كل ركن منه تمثالا

وتطور الوضع عند الأفوه الأودي فذكر لنا مواد البناء ووظيفتها في عملية البناء[٧٢] :

والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذ لم ترس أوتاد
فان تجمع أوتدة وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

والأعمدة والأوتاد المذكورة في شعر الأفوه لا تستعمل الا في بيوت الشعر والأخبية والخيام. ولقد ورد ذكر الخيام والقباب المصنوعة من الجلد في شعر عنترة[٧٣] :

وفي أرض الحجاز خيام قوم حلال الوصل عندهم حرام
وبين قباب ذاك الحي خذر رداح لا يماط لها لثام

وأيضا[٧٤] :

أروح من الصباح إلى مغيب وأرقد بين أطناب الخيام

ولقد ورد فيما تقدم ذكره من شعر الأعشى ذكر مواد البناء المستعملة في تهامة واليمن والمناطق الصخرية في شمال الحجاز : كالرخام والحجارة والطين والجير والكلس والقرميد والبلاط ، وورد ذكر هذه المواد بالاضافة إلى المرمر والأجر فيما تقدم ذكره من شعر النابغة. وتحديد مواد البناء التي بنى بها أثر ما ، تكون أحد العوامل التي تساعد في التعرف على هوية هذا الأثر ، كما أن نوعية مواد البناء تعطينا فكرة واضحة عن امكانية بقاء الآثار أو اندثارها ، فمواد البناء الصلبة تساعد على بقاء الآثار فترة طويلة وذلك من خلال مقاومتها للعوامل والمؤثرات البيئية من رياح وأمطار وأعاصير وسيول وهزات أرضية ، أما المواد غير الصلبة وضعيفة المقاومة فلا تساعد على بقاء الآثار بل تساعد على سرعة اندثارها وزوالها. ومن هنا تتضح العلاقة بين مواد البناء والعوامل والمؤثرات البيئية التي سنعرض لها بشئ من الدراسة والتحليل.

٥- المؤثرات البيئية

تنحصر المؤثرات البيئية بين طبيعة المكان الجغرافية المقام عليه الأثر والعوامل المناخية ، فالحالة الأولى حددت لنا نوعية العلاقة بين الأثر والبيئة الجغرافية المقام عليها الأثر ، سواء من حيث استعمال مواد البناء المحلية أو من حيث التكوين الطبيعي للمكان ، أو من حيث موقع الأثر في أرض منبسطة أو على منحدر أو مرتفع من الأرض. فبناء الأثر بالمواد المحلية يساعد في التعرف على الأثر من ناحية كما أنها تساعد على بقاء الأثر ايجابا أوسلبا تبعا لطبيعة هذه المواد. أما التكوين الطبيعي للمكان فيساعدنا في معرفة ما اذا كان المكان معرضا للهزات الأرضية أوالزلازل الأمر الذي يسهل على الأثري عملية استقصاء تاريخ الأثر من ناحية أو وجوده من ناحية أخرى اذا لم يعد لهذا الوجود أثر بفعل الهزات الزلازل. وأما موقع الأثر فيساعد في حفظ الأثر ، خاصة اذا كان على مرتفع من الأرض ، من أيدي العابثين أو من العوامل المناخية كالسيول الجارفة. وأما اذا كان الأثر في منخفض من الأرض فربما يكون عرضة للعبث وللسيول والأمطار والرياح التي تساعد جميعها في خراب الأثر واندثاره ، أما العوامل المناخية فهي الأمطار والسيول والرياح والعواصف والأعاصير ، وجميعها ذات تأثير سلبي على الآثار كما أسلفنا. وقد تنبه الأثاريون العرب لهذه المؤثرات البيئية فذكروها باسهاب وتفصيل. اذ ورد في الشعر الجاهلي ذكر السيول والأعاصير والرياح الشديدة التي تذهب بالآثار. وتعرفنا على أربعة أنواع من الرياح الرئيسية[٧٥] هي : الجنوب والشمال والصبا والدبور ، فالرياح الجنوبية تهب من اليمين باتجاه الشمال وسميت باليمانية أيضا ، وأما الشمال فتهب من الشام باتجاهه الجنوب وسميت بالشامية ، وأما الصبا فتهب من الشرق باتجاهه الغرب وسميت بالقبول لأنها تأتي من قبل الكعبة[٧٦] ، وأما الدبور فتهب من الغرب باتجاه الشرق وسميت بذلك لأنها تأتي من دبر الكعبة ، وقيل لأن مستقبل الشرق يستدبرها[٧٧] ، أي تأتي من خلفه. وهناك رياح فرعية كالنكباء[٧٨] وهي التي تهب بين ريحين رئيسيتين ، والنسيم وهي رياح ضعيفة لا تمحوا الآثار ، والزعزع وهي التي تقلع الأشجار وتمحوا الآثار ، والذاريات والمعصرات وهي التي تجئ بالمطر ، والاعصار والروامس والصرصر[٧٩] وهي الرياح الباردة وغالبا ما تهب باتجاه رأسي ، والعقيم والعاتية والقاصفة[٨٠] وهي التي تقصف الأشجار وتكسرها وتمحو الآثار. وسنعرض لبعض ما ورد منها في الشعر الجاهلي ، وقد سبق وأن عرضنا لشعر علقمة الذي يوضح فيه تأثير الريح الصرصر في خراب عمران مدينة ناعط كما وضح لنا تأثير الرياح في خراب قصر غمدان[٨١] :

أبعد غمدان حين أمسى سفاية المور والرياح

وجاء ذكر هذه الرياح ، بأسمائها تارة ، وبصفاتها تارة أخرى ، في الشعر الجاهلي ، كمسببة لطمس الآثار ومحوها واندثارها ، وقد أشرنا لرياح الجنوب والشمال في شعر امرؤ القيس ، وبينا كيف أن ريح الجنوب تعمل على طمس الآثار ومحوها ، وكيف أن ريح الشمال تعمل على الكشف عن هذه الأثار ، كما بين لنا امرؤ القيس دور السيول في محو آثار مدينة تيماء التي لم يبق منها سوى الحصون المشيدة بالحجارة الصلبة. وقد ورد ذكر ريح الصبا في شعر الحادرة[٨٢] :

بغريض سارية ، أدرته الصبا من ماء اسجر ، طيب المستنقع

لعب السيول به ، فأصبح ماؤه غللا ، تقطع في أصول الخروع

كما ورد ذكرالصبا في شعر المسيب بن علس[٨٣] :

أو صوب غادية ، أدرته الصبا ببزيل أزهر ، مدمج بسياع

واذا تهيج الريح من صرادها تلجأ ، ينيخ النيب بالجعجاع

وورد ذكر ريح الدبور في شعر الأعشى[٨٤] :

لها جرس كحفيف الحصاد صادف بالليل ريحا دبورا

كما ذكر لنا الأسود يعفر بعض المؤثرات البيئية التي تسبب خراب العمران[٨٥] :

أرض تخيرها ، لطيب مقيلها ، كعب بن مامة ، وابن أم دؤاد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

كما عرض النابغة للمؤثرات البيئية التي تسبب خراب العمران[٨٦] :

أهاجك من سعداك مغنى المعاهد بروضة نعمى ، فذات الأساور

تحاورها الأرواح ينسفن تربها وكل ملث ذي أهاضيب راعد

والأرواح هنا هي الرياح والملت الأمطار كما عرض للرياح الهوج التي تؤدي بالعمران وتسرع في خرابه فقال[٨٧] :

أقوى وأقفر من نعم ، وغيره هوج الرياح بهابي الترب ، موار

كما عرض للاشراج وهي المياه المنحدرة من أعلى إلى أسفل وكذلك للرامسات (وهي الرياح الشديدة) ودورها في خراب العمران[٨٨] :

فمجتمع الأشراج غير رسمها مصايف مرت ، بعدنا ، ومرابع

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه ، حصير ، نمقته الصوانع

وكذلك عرض للساريات وهي السحب المحملة بالأمطار الهواطل[٨٩] :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل

وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات الهواطل

كما نجد في شعر طرفة عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران فيقول[٩٠] :

لهند بخزان الشريف طلول تلوح وأدنى عهدهن محيل

وبالسفح آيات كان رسومها يمان ، وشته ريدة وسحول

أربت بها ناجة تزدهي الحصى واسحم وكاف العشي هطول

فغيرن آيات الديار ، مع البلى وليس على ريب الزمان كفيل

وكذلك نجد في شعر عنترة عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران[٩١] :

طال الثواء على رسوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحرمل

فوقفت في عرصاتها متحيرا أسل الديار كفعل من لم يذهل

لعبت بها الأنواء بعد أنيسها والرامسات وكل جون مسبل

وأيضا[٩٢] :

لمن طلل بوادي الرمل بالي محت آثاره ريح الشمال

وقفت بها ودمعي من جفوني يفيض على مغانيه الخوالي

والمقصود بالأنواء هو الرياح والأمطار القوية التي تطمس الاثار ، كما نجد في شعر زهير عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران[٩٣] :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

لعب الزمان بها وغيرها بعدي سواقي المور والقطر

والسواقي هي الرياح الشديدة المحملة بالأتربة والقطر المطر. كما نجد في شعر لبيد عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران[٩٤] :

هلكت عامر فلم يبق منها برياض الأعراف الا الديار

غير آل ومنة وعريش رغدتها الرياح والأمطار

وأيضا[٩٥] :

دمن تلاعبت الرياح برسمها حتى تنكر نؤيها المهدوم

وأيضا[٩٦] :

عفت الرياح محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحى سلامها

رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها اقلامها

وأيضا[٩٧] :

ورمى دوابرها السفا وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها

كما ورد تأثير الرياح على العمران في شعر سلامة بن جندل[٩٨] :

كانت لنا مرة دارا ففيرها مر الرياح بسافي الترب مجلوب

وحقيقة الأمر أن المؤثرات البيئية لعبت دورا كبيرا في خراب العمران واندثار الآثار ، ولقد أترى الأثاريون العرب معلوماتنا عن هذه المؤثرات التي ساعدت بدورها في عملية تخير الأوقات المناسبة للتنقيب عن الآثار من ناحية ، وفي عملية الاستقصاء الأثري من ناحية أخرى ، وهو ما سنعرض له فيما يلي بشئ من الدراسة والتحليل.

٦- الاستقصاء الأثري

يشكل هذا العنصر العمود الفقري لأسلوب المدرسة الأثرية ، اذ من خلاله نستطيع استقصاء وتحديد وتأكيد جميع العناصر السابقة. ويشمل هذا العنصر التحقق من أصحاب الأثر وهويته ومكانه ، كما يشمل التأكد والتحقق من مواد وتقانة بناء الأثر ، فعملية الاستقصاء الأثري استثمرت المؤثرات البيئية بشريا وجغرافيا في التعرف على الأثر.

والتحقق من أصحاب الأثر يتأتى بطريقتين: الأولى من خلال النقوش والكتابات المتروكة على الأثر ، والثانية من خلال العلاقة بين أصحاب الأثر ومكان الأثر. فالأولى كانت مقتصرة على آثار العمران الثابت في مناطق الاستقرار الحضري كاليمن والمراكز الحضارية في باقي الجزيرة العربية. ويبدو أن الاهتمام بالنقوش والكتابات الأثرية لم يكن واردا في عرف الأثاريين في ذلك الوقت ، وربما يكون مرد ذلك إلى أن الشعراء اليمنيين قاموا بتوثيق منجزاتهم الحضارية بأنفسهم ، الأمر الذي يدعوا إلى الاعتقاد بأنهم كانوا على علم بلغة أو لغات الكتابات المنقوشة على الآثار اليمنية ، في المرحلة التي سبقت عملية التوثيق الأثري ، التي ابتدأت بمحاولات اسعد تبع في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. فاللغات السبئية والمعينية والقتبانية والدادنية واللحيانية لا تختلف كثيرا عن المسند الحميري وعلى هذا الأساس فان استعمال اللغة في عملية الاستقصاء الأثري تبدو أمرا واردا بالرغم من عدم وجود دليل صريح على ذلك ، أما بالنسبة لعدم استثمار النقوش والكتابات التي وجدت على آثار باقي المراكز الحضارية في الجزيرة العربية ، في عملية التحقق من أصحاب الأثر ، فربما يعود ذلك إلى توارد الخبر وتداوله بين الناس حتى وصل إلى شعراء البيئة العدنانية ، هذا بالاضافة إلى جهلهم باللغات التي دونت بها الكتابات الأثرية ، وربما لعب توارد الخبر وتداوله دورا في عدم محاولة شعراء البيئة العدنانية فك رموز هذه اللغات وفهمها ، أضف إلى ذلك عدم وجود الضرورى الحضارية لفك رموزها وفهمها.

أما التحقق من أصحاب الأثر من خلال العلاقة بمكان الأثر فهو أمر متعارف عليه عند شعراء البيئة العدنانية فقد ارتبطت القبائل

العربية بمساكن وديار متعارف على مكانها ضمن التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية بالرغم من كثرة التنقل داخل حدود هذه الأماكن الجغرافية ، هذا التنقل أسفر بدوره عن تقسيمات فرعية لمنازل وديار القبائل العربية ارتبط بها الأثر فتحددت شخصية أصحابه من خلال هذا الارتباط كما في برقة "تهمد" "وحومانة الدراج" "واللكيك والحرمل" و "الدخول فحومل وتوضح والمقراة" ، وخلاف ذلك من الأماكن التي ارتبطت بمنازل وديار القبائل العربية. ولما كانت محاولات شعراء البيئة العدنانية واضحة سواء في تحديد أصحاب الأثر أو نوعه أو مكانه ، فلم يكن للنقوش والكتابات دور في عملية الاستقصاء الأثري ، هذا بالاضافة إلى عدم استعمال النقوش و الكتابات على منازل وديار العدنانيين في مرحلة العروبة الصريحة في الفترة السابقة لظهور الاسلام والواقعة ما بين نشأة الشعر الجاهلي إلى ظهور الاسلام.

وحيث أن الاستقصاء الأثري لم يقتصر على التحقق من هوية أصحاب الأثر ونوعه ومكانه ، بل تجاوز ذلك إلى البحث في بقايا ومخلفات العمران واصحاب الأثر واستثمار العمران البيئي من نبات وحيوان. ولقد استثمر الأثاريون عناصر بقايا العمران ومخلفات أصحاب الأثر ، في عملية الاستقصاء الأثري: كالنؤي وهو الأخدود الذي يحفر حول البيت (الخيمة) لمنع دخول مياه المطر إلى داخل البيت ، والاثا في وهي الحجارة التي تستعمل في موقد النار ، وكذلك الرماد المتبقي في مواقد النار ، كما استثمروا بقايا أثاث ومواد البيت كالعهن وهو بقايا الصوف ، والاوراي والاواخي وهي الحبال والاوتاد التي تستعمل لربط الدواب. ولقد وصلت عملية الاستقصاء الأثري من التقانة إلى درجة وصف وتحليل عملية البناء ، هذا بالاضافة إلى استثمار عناصر العمران البيئي من نبات وحيوان ، فالنبات يكون من بقايا العمران البشري ، والحيوان يجد لنفسه مكانا ومأوى ومرتعا في بقايا العمران البشري. وسنعرض لجميع هذه العناصر كما وردت في الشعر الجاهلي ، فعلى سبيل المثال نجد في شعر النابغة عملية استقصاء أثري متكاملة ، فقد استثمر فيها بقايا العمران كالنؤي وموقد النار والأحجار المستعملة أما في موقد النار أو في بناء الجدران القليلة الارتفاع حول الأخبية والبيوت ، كما استثمر عناصر العمران البيئي كالثمام وهو نبات شجري قليل الارتفاع يزرع حول الأخبية أو في عرصات (ساحات) الحي ، فيقول[٩٩]:

عوجوا ، فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار
أقوى وأقفر من نعم ، وغيره هوج الرياح بهابي الترب موار
وقفت فيها ، سراة اليوم اسألها عن آل نعم ، أمونا ، عبر أسفار
فاستعجمت دار نعم ، ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئا الوذ به الا الثمام والا موقد النار

وتتضح عملية الاستقصاء الأثري بصورة واعية في الأبيات الثلاث الأخيرة كما تتضح في المحاولة التالية لنفس الشاعر[١٠٠]:

يا داريه بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيت جوابا ، وما بالربع من أحد
الا الأواري لأيا ما أبينه والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

هذه المحاولة توضح العناء الذي تكبده الأثاري في عملية الاستقصاء والاستنطاق فلم يتمكن من العثور على الاوراي الا بعد بحث وتنقيب وذلك لعدم ظهوره بوضوح ، وأما النؤي فقد اتسع حتى أصبح كالحوض في الأرض الصلبة على شكل مغاير ومخالف لما كان عليه عند حفره وأثناء استعماله عندما كانت دارمية مأهولة ، مما سبب عناء في التعرف عليه وتتابع محاولات الاستقصاء والاستنطاق الأثري عند النابغة بما فيها من عناء ومكابدة فيدخل عنصرين جديدين وهما الزمن والرماد[١٠١]:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع
رماد ككحل العين لأيا أبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع

فالأول يرقى بعملية الاستقصاء الأثري إلى عملية التنقيب عن الآثار ويدلل على أن هذا التنقيب كان هدفا مقصودا وغاية واعية عند النابغة. أما الرماد فهو عنصر مادي من بقايا ومخلفات أصحاب الأثر استثمره النابغة للاستدلال على عمران قوم محبوبته ، والصعوبة التي واجهت النابغة في البحث عن هذا العنصر وتوظيفه في التعرف على ديار ومنازل محبوبته وعشيرتها تؤكد الهدف المقصود والغاية الواعية لتحويل الاستقصاء الأثري إلى عملية شاملة للتنقيب عن الآثار. والنابغة لم يكن الوحيد الذي استثمر الرماد في عملية الاستقصاء الأثري فنجد الأعشى قد استثمر هذا العنصر أيضا[١٠٢]:

لميثاء دار قد تعفت طلولها ، عفتها نضيضات الصبا ، فمسيلها
لما قد تعفى من رماد وعرصة ، بكيت ، وهل يبكي اليك محيلها

على أن محاولة المخبل السعدي تبدو أعمق فكرا وأوسع تحليلا[١٠٣]:

وأرى لها دارا بأغورة الـ سيدان لم يدرس لها رسم
الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم
وبقية النؤي الذي دفعت أعضاده فتوى له جذم
فكأن ما أبقى البوارح والا مطار ، من عرصاتها ، الوشم
يقرو بها البقر المسارب واخ تلطت به الآرام ، والأدم
وكان اطلاء الجآذر والـ غزلان ، حول رسومها ، البهم
لم تعتذر منها مدافع ذي ضال ، ولا عقب ، ولا الزخم

العمق الفكري في محاولة السعدي يتضح في تفسيره للأسباب التي غيرت لون الرماد وأبقت عليه وهي الأمطار ، فالماء عند اختلاطه بالرماد يدكن لونه وتتماسك ذراته فتثقل وتقاوم هبوب الرياح عليها ، كما وضح ان خوالد السحم (حجارة الموقد) قد ساعدت في حماية الرماد بدفعها عنه الرياح ، كما استدل على الأثر من خلال التعرف على بقايا النؤي المنهار. هذا التحليل العميق لبقايا العمران يؤكد أن الاستقصاء الأثري قد ارتقى إلى عملية شاملة للتنقيب عن الآثار. ومما يعزز وجهة النظر هذه ويؤكدها هو أن عملية الاستقصاء الأثري أعقبت بوصف شامل لما آلت اليه الديار من خراب وهجران تسبب في استبدال العامل البشري بعناصر العمران البيئي كالحيوانات البرية أمثال: البقر الوحشي وأولادها والجآذر والغزلان والبهم من أولاد الغنم. هذا الاستبدال البيئي أصبح عنصرا من عناصر الاستقصاء الأثري ، فأينما وجدت عناصر العمران البيئي من الحيوانات البرية غير الأليفة في بيئة العمران البشري ، تأكد انحسار العامل البشري من هذه البيئة ،ووجود الخراب والهجران ، لأن الحيوانات البرية بطبيعتها لا تتعايش مع العامل البشري. وهذا النوع من الاستدلال والاستقصاء الأثري سبق إلى ذكره واستثماره امرؤ القيس:

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

ولقد توسع الحارث بن حلزة اليشكري في استثمار العمران البيئي في عملية الاستقصاء الأثري فاستعرض خبرته السابقة في استثماره[١٠٤]:

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس

لا شئ فيها غير أصورة سفع الخدود يلحن كالشمس
أوغير آثار الجياد بأعـ ـراض الجماد ، وآية الدعس
فوقفت فيها الركب أحدس في بعض الأمور وكنت ذا حدس

فبين أن الأصورة ، وهي قطعان البقر ، قد حلت مكان العامل البشري في الديار وهذا التغيير في طبيعة العمران مماثل للتغيير الذي تحدثه النار في حجارة الموقد فتحولها سفعا أي سوداء تميل إلى الاحمرار. كما تعرف واستدل من خلال آثار الجياد على المحابس والاوراي التي كانت تربط بها. ولقد استثمر هذا العنصر الأخنس التغلبي[١٠٥]:

فمن يك أمسى في بلاد مقامه يسائل اطلالا ، لها ، لا تجاوب
فلابنة حطان بن قيس منازل كما نمق العنوان في الرق كاتب
تظل بها ربد النعام كأنها اماء تزجى بالعشي حواطب

وتحدد الاستدلال هنا بواسطة النعام - وهي أكثر الحيوانات نفورا وقلقا في مسكنها ومرعاها - من العمران البيئي والتي تنعم بالهدوء والطمأنينة لخلو المنازل من العامل البشري ، كما استثمر العامل البشري في عملية الاستقصاء الأثري كل من المرقش الأكبر[١٠٦] والمرقش الأصغر[١٠٧] ولبيد[١٠٨] وغيرهم كثر ونكتفي هنا بالاشارة إلى محاولة زهير بن أبي سلمى لشمولها[١٠٩]:

ودار لها بالرقمتين كأنهـا مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم
آثافي سفعا في معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها الا أنعم صباحا أيها الربع واسلم
كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

فابتدأ عملية الاستقصاء الأثري باستثمار عناص العمران البيئي كالعين وهي بقر الوحش ، والآرام والغزلان ، ويبدو أنه اختار عناصر العمران البيئي ليبدأ بها ، ليوحي بالهجران الكامل للعامل البشري ، ثم أكد هذا الهجران بتحديد المدة الزمنية التي ابتعد فيها عن ديار امرأته أم أوفى[١١٠]. وجدير بنا أن نلاحظ أن عامل الزمن لم يقتصر على تأكيد الهجران فحسب ، بل ارتقى بالاستقصاء الأثري إلى التنقيب عن الآثار ، فجعل من الأول هدفا للأخير ، وارتقى بالأخير إلى محاولة واعية ومحددة الهدف وهو التعرف على ديار امرأته. ولكن الأمر لم يتوقف عند وعي محاولة زهير وانما فيما أضفته هذه المحاولة من وعي على فكر المدرسة الأثرية العربية ، هذا الوعي تأكد في تكرار ادخال عنصر الزمن في محاولة النابغة التي سبق أن أشرنا اليها. فاذا عدنا إلى محاولة زهير ، لوجدنا أنه انتقل إلى عملية الاستقصاء بعد أن أكد الهجران ووضح الهدف ، فابتدأ بالتعرف على عناصر الدار ، معتمدا على قوة الملاحظة وتقانة الوصف ، فعرض لحجارة الموقد وكيف آل لونها إلى السواد المشوب بالحمرة بفعل النار ، ثم عرض للنؤي المنهار ولبقايا المعرس (الرحل) وكذلك لبقايا الصوف المتناثر بين بقايا المنازل كثمار شجر الفنا ذي اللونين الأسود والأحمر ، وينتهي من هذا الاستقصاء للتعرف على دار امرأته.

والاستقصاء الأثري لم يقتصر على معرفة الأثر فحسب ، بل استثمر عملية التفسير الأثري من خلال الوصف التفصيلي لتقانة وأسلوب البناء ، فقد سبق وأن عرضنا لمحاولة الأفوه الأودي التي بين فيها تقانة بناء البيوت بالأوتاد والأعمدة ، وسنعرض فيما يلي محاولة لطرفة يصف فيها تقانة بناء القبور[١١١]:

أرى قبر نحام بخيل بمـاله كقبر غوي بالبطالة مفسد
ترى جتوتين من تراب ، عليهما صفائح صم من صفيح منضد

فتقانة البناء عند طرفة تتساوى في قبرى النحام وهو الغني كثير المال قليل الانفاق ، والضال المفسد والمبدد لماله ، ويصف هذه التقانة بأنها تتكون من كومتين (جتوتين) من التراب عليهما حجارة عريضة وصلبة ، الا أن هذه التقانة تختلف عند لبيد[١١٢]:

اذا دفنت آباك فاجعل فوقه خشبا وطينا
وصفائحا صما روا سيها يسددن الغضونا
ليقين وجه المرئ سفسـ ـاف التراب ولن يقينا

والاختلاف هنا يتضح في تغطية الميت بالواح الخشب والتطيين عليها بالطين ثم تغطيتها بأحجار عريضة متلاصقة ببعضها البعض بحيث لا يترك بينها فروج ، لكي تقي وجه الميت من تسرب الأتربة التي ستوضع فوق هذه الصفائح الحجرية. والاختلاف بين التقنيتين ربما يكون في أسلوب التفسير وطريقته وليس في طبيعة التقانة نفسها ، فاذا قارنا بين التفسيرين نجد أن تفسير طرفة بسيط بينما نجد تفسير لبيد أكثر تحليلا وعمقا وشمولا. وتقانة البناء توضح لنا ارتباط الاستقصاء الأثرى بالتفسير الأثرى.

فيما تقدم من دراسة وتحليل عرضنا لمفهوم علم الآثار ولعناصر الفكر الأثري ولعناصر أسلوب المدرسة الأثرية ، وبينا التداخل بين علم الآثار وعلم اللغات كما بينا التداخل بين عناصر الفكر الأثري وعناصر الأسلوب الأثري ، وعرضنا بالشرح والتحليل لتقانة التوثيق والاستقصاء من خلال عناصر الأسلوب الأثري ، وبينا أن الهدف من الدراسات الأثرية هو التوثيق الأثري للتعريف بالمنجزات الحضارية المعمارية العربية ، ونرى أن حصيلة ما تقدم من عرض وتحليل هو أن الشعراء العرب في الجاهلية أسسوا علم الآثار وارسوا قواعد وأسس فكر المدرسة الأثرية العربية والتي سنوضح منهجها في تفسير الآثار فيما يلي من دراسة وتحليل.

التفسير الأثري

لقد نهجت المدرسة الأثرية العربية في تفسيرها للآثار منهجين:

١- التفسير بواسطة الأسطورة
٢- التفسير العلمي

١- التفسير بواسطة الأسطورة

التفسير بواسطة الأسطورة كان شائعا عند العرب وكانوا ينسبون كل غريب من البنيان إلى سليمان[١١٣] عليه السلام ، وقد ورد التفسير بواسطة الأسطورة في شعر النابغة[١١٤]:

الا سليمان اذ قال الإله له قم في البرية فاحددها على الفند
وخيس الجن أني قد أذنت لهم يبنون تدمر في الصفاح والعمد

كما نسب الأعشى إلى سليمان بناء الحصن الأبلق بمدينة تيماء[١١٥]:

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله ورد بتيماء اليهودي أبلق
بناه سليمان بن داود حقبة له أزج عال وطي موثق

ولقد نسب إلى سليمان ، الكثير من البنيان ، في المصادر الاسلامية وسنشير لها عند الكلام عن دور الأثاريين المسلمين في تطوير فكرالمدرسة الأثرية لاحقا في هذا الجزء. كما كان العرب في الجاهلية ينسبون كل أثر قديم إلى عاد وقد أشرنا إلى قول الشاعر[١١٦]:

وبالجبلين معقـل صعدنا اليه بسمر الصعاد
ملكناه من أوليات الزمان من بعد نوح ومن قبل عاد

وخطورة التفسير بالأسطورة لا تقتصر على تغيير هوية أصحاب الأثر وتاريخ بنائه والغاء عملية الاستقصاء العلمي فحسب ، بل تتجاوز ذلك إلى ابعاد حضارية ، فالادعاء بأن سليمان بنى تدمر وحصن الأبلق يتضمن ادعاءا بأن اليهود في عهد سليمان كانوا قد سيطروا على أجزاء من سوريا وشمال الحجاز حيث مكاني مدينة تدمر وحصن الأبلق على الترتيب. وهذا الادعاء لا يحتاج إلى نفي ، لأن النقوش والكتابات الأثرية[١١٧] تشير إلى أن اليهود كانوا يجهلون أساليب البناء ، بدليل أن سليمان استعان بالملك حيرام الثاني ملك صور لبناء "معبد الرب"، وقد أمد الأخير الأول بفريق من البنائين والنجارين والحدادين وعلى رأسهم مهندس اسمه حيرام. ومما يدلل على جهل اليهود بأعمال البناء ، ان الله سبحانه وتعالى سخر لسليمان الشياطين[١١٨] والجن لاستخدامهم في عملية البناء كما في قوله تعالى[١١٩] :

"ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين".

ومن الآيات الكريمات نستدل أن الجن كانت مسخرة ومكلفة بأعمال محددة تنحصر في عمل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور ، وانهم استمروا في هذه الأعمال حتى توفى الله تعالى سليمان ، وقد تبينوا وفاته بعد سنة [١٢٠] من وفاته الحقيقية عندما تآكلت عصاه وسقط. ومعنى هذا أن الأعمال العمرانية التي قام بها الجن لسليمان لم تنجز بالكامل لأنها لو أنجزت بالكامل لما دعت الضرورة استمرارهم في العمل أثناء موت سليمان وهروبهم منه عندما علموا بموته ، وهنا نتساءل كيف تسنى لسليمان بناء تدمر وحصن الأبلق إذا كان لم ينهي عمرانه داخل مملكته. ومما يدعونا أيضا إلى الاعتقاد بعدم أهلية اليهود لأعمال البناء والعمران هو أن تسخير الجن لخدمة سليمان كانت إحدى معجزات سليمان. والمعجزة تعني عجز البشر - قوم النبي - عن القيام بالأعمال التي تتضمنها ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه.

وينبغي علينا أن نعي فيما ذهبنا اليه من شرح وتحليل أننا لسنا بصدد نفي حقيقة ، هي أصلا لا وجود لها ، وإنما نحاول أن نؤكد اسطورة بنفي حقائق وجود عناصر الحدث الذي تنسب إليه الأسطورة ، وكذلك لكي نثبت أن الأثاريين العرب استعملوا الأسطورة في تفسيرهم للآثار. كما ينبغي علينا أن نعي أن التفسير بواسطة الأسطورة استعمله شعراء البيئة العدنانية ، وربما يكون مرد ذلك إلى افتقار البيئة العدنانية إلى الأعمال المعمارية الضخمة ، فاذا استكملنا محاولة الأعشى:

يوازي كبيداء السماء ودونه ... بلاط ودارات وكلس وخندق
له درمك في رأسه ومشارب ... ومسك وريحان وراح تصفق
وحور كأمثال الدمى ، ومناصف ... وقدر ، وطباخ ، وصاع ، وديسق

لوجدنا أن التفسير بواسطة الأسطورة اقتصر على الجانب التوثيقي فقط ويشمل تحديد هوية صاحب الأثر وتحديد تاريخة ، أما باقي العناصر كالمكان وهو مدينة تيماء وتحديد هوية الأثر فقد خلون من العنصر الأسطوري في عملية التفسير ، بل أن الوصف الذي أورده الأعشى يتطابق مع هوية الأثر ، فالحيطان القوية العالية والخندق من صفات الحصون والقلاع ، كما أن باقي الوصف الذي أورده الأعشى يؤكد حقيقتين: أولهما أن الحصن ما زال عامرا ومأهولا وذلك لوجود الفتيات الحور الجميلات والمناصف (الخدم) والطباخ ، والحقيقة الثانية هي أن الوصف على محدوديته اعتمد على النظر والملاحظة الدقيقة وهذه العناصر بعض من صفات التفسير العلمي الذي سنعرض له فيما يلي بشئ من الدراسة والتحليل.

٢- التفسير العلمي

وهذا التفسير أعم وأوسع ويرتكز عند دراسته أو إعادة دراسته للأثر على ما توفر من معلومات تركها أصحاب الأثر ، فالتفسير العلمي يبدأ عملية البحث والاستقصاء الأثري من المعلوم ، في محاولة لسبر أغوار المجهول ، وهذه العملية المعقدة اعتمدت على النقوش والكتابات ووجدت لها مصدرا في الحياة الأدبية والدينية والاجتماعية والتقانية لأصحاب الأثر ، ونهجت أسلوب المقارنة والمعارضة والنقد والتحليل. ولقد ابتكر الأثاريون العرب هذا النهج في تفسيرهم للآثار ، وذلك من خلال عملية استقصاء علمي واضحة المعالم ابتدأت بالتحقق من : هوية أصحاب الأثر ، فهوية الأثر ، فالمكان الذي يقع فيه الأثر ، فمواد البناء فالمؤثرات البيئية وانتهت بالخبر أو تفسير الأثر. ولقد اختلف التفسير باختلاف البيئة والدوافع وراء عملية التفسير. فبينما نجد الأثاريين العرب قد اشركوا الحياة الاجتماعية في عملية التفسير (من خلال الانتماء القومي والاقليمي كما هو الحال عند شعراء البيئة اليمنية ، أو من خلال العلاقات العاطفية والنفسية والاقتصادية بالاضافة إلى الانتماء القبلي والقومي عند شعراء البيئة العدنانية)، نجدهم لم يشركوا الحياة الدينية بنفس الكيفية التي اشركوا فيها الحياة الاجتماعية ، كما أنهم لم يشركوا النقوش والكتابات بالرغم من توفرها على آثار الجزيرة العربية ، وسنحاول فيما يلي من دراسة وتحليل أن نوضح الأسباب التي أدت إلى محدودية استعمال اللغة والدين في عملية التفسير.

اللغـــــة

الوظيفة الرئيسية للغة هي عملية التوثيق الأثري ، فاذا كانت اللغة مدونة ومنقوشة على الأثر تصبح أحد عناصر الاستقصاء الأثري ، ومن ثم أحد عناصر التفسير الأثري ، لأن الأخير لا يتم الا بواسطة اللغة ، وبعد انتهاء عملية التفسير تصبح العملية عملية توثيقية مرة أخرى. هذا التداخل في وظيفة اللغة يعود إلى سببين: أحدهما ، اختلاف لغة التوثيق عن لغة التفسير ، ففي هذه الحالة تدخل اللغة الأولى ضمن نطاق الاستقصاء الأثري وتدخل الثانية ضمن عملية التفسير الأثري ، وثانيهما أن تكون لغة التوثيق والتفسير الأثري واحدة ، فنحتاج لمعرفة المدونات والنقوش الأولى عن الأثر في عملية التفسير اذا كنا بصدد دراسة أو اعادة دراسة الأثر ، وفي كلا الحالتين تكون لغة التفسير هي نفسها لغة التوثيق.

ولقد اقتصر التفسير العلمي للمدرسة الأثرية العربية على الحالة الثانية ، أي على الآثار العربية واستعمال اللغة العربية بقلميها:

المسند الحميري والعدناني، وسبق وبينا أنه لم يكن للنقوش والكتابات دور صريح في عملية الاستقصاء الأثري، كما سبق وبينا أن جميع الأقلام اليمنية هي أصلا قلم واحد وهو المسند الحميري، وقد ذهب الاستاذ الألوسي[١٢١] إلى أن جميع اللغات (الأقلام) العربية من يمنية وعدنانية ذات أصل حميري ويدلل على رأيه بشعر لرجل - كندي من دومة الجندل يمن فيه على قريش بأنهم تعلموا خط الجزم من المسند الحميري[١٢٢]:

وتجحدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وألفيتم ما كان بالمال مهملا وطامنتم ما كان منه مبقرا
فأجريتم الأقلام عودا وبدأة وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميرا وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

ويقول الألوسي أن تسمية الجزم ترجع إلى أن الخط الكوفي كان يسمى بخط الجزم قبل انشاء مدينة الكوفة، وذلك لأنه جزم أو اقتطع وولد من المسند الحميري[١٢٣] والواقع أننا نميل إلى هذا الرأي وذلك لعدة أسباب نذكر منها: أن الشعر الجاهلي لم يشر إلى وجود أي خلاف جذري في معنى أو في الدلالات البيئية للغة المستعملة في اليمن عن لغة الشعر (العربية الفصحى)، بينما نجد الشعر الجاهلي يشير إلى الخلافات اللغوية بين اللغة العربية واللغات الأخرى كالفارسية مثلا، فنجد النابغة[١٢٤] يصف الدار بالاستعجام لعجزه عن التعرف عليها، كما نجد عنتره[١٢٥] يصف عدم الافصاح "بالعجمه الطمطمية". ومن هذه الأسباب أيضا تشابه المعنى في كثير من الكلمات والألفاظ في اللغتين العربية الفصحى والجنوبية (الأقلام اليمنية) فقد أورد الأستاذ محمد عزة دروزة في كتابه، *تاريخ الجنس العربي* (ج٣/١٠-١٢) الكثير من الكلمات العربية الفصيحة ومثيلاتها في اللغات العربية الجنوبية نذكر منها الكلمات الخاصة بالأسرة كالأب والأم والولد والابن والأخ والأخت، ونذكر أيضا الكلمات الخاصة بالكون والبيئة: كالأرض والسماء والماء والشمس والقمر والليل واليوم والأمة والانسان والنفس واللسان والرأس واليد...، كما ذكر الدكتور جواد على في كتابه، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام*، (ج٨/١٠-٢٤)، الكثير من الكلمات الخاصة بالبناء والمتماثلة في كلا اللغتين نذكر منها: بناء ومبنى، وقلعة وحفر، وعلى وعليه، وصود، وسقف، والخلف (الباب)، والرتاج والمصرع والمصراع واللبن ...، وغيرها من الكلمات التي ربما يشوبها بعض الخلافات اللفظية. وسبب آخر هو أن كثيرا من الشعراء اليمنيين الأصل قالوا شعرا بالعربية الفصحى كامرئ القيس وعبد يغوث والمتلمس وطرفة وكثير غيرهم، كما أن عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام قال خطبته في بلاط الملك اليمني معد يكرب باللغة العربية، وقد أشرنا إلى هذه الخطبة في القسم الأول من هذه الدراسة (التفسير التاريخي) كما أشرنا فيها إلى التاجر الزبيدي اليمني الذي قال شعرا بالعربية الفصحى في مكة، أسفر عن تأسيس حلف الفضول. ونخلص من ذلك إلى أن الاختلاف بين اللغتين العربية الشمالية والجنوبية ربما كان مقصورا على شكل الحروف وشكل الكتابة وربما النطق، أما المعنى ففي الأعم الأغلب كان واحدا ومتجانسا في اللغتين واستنادا إلى كل ما سبق نميل إلى الاعتقاد بوحدة[١٢٦] اللغتين، بالرغم من خلو آثار بعض المراكز الحضارية في البيئة العدنانية من النقوش والكتابات لأن الكتابة كانت معروفة في البيئة العدنانية كما هو الحال في البيئة اليمنية. فالأخيرة اتخذت من جدران وحيطان العمران مجالا لها، فهي ماثلة في آثار اليمن، أما الأولى فلم نجد لها وجودا على حيطان وجدران آثار عمرانها في جنوب الحجاز ونجد، بينما نجد كثيرا من النقوش في شمال الحجاز وسوريا وفلسطين، والتي صنفت على أنها نقوش "نبطية" وليست عربية، ولكننا لم نعدم بعض المحاولات في مكة، سنعرض لها بعد أن نوضح كيفية انتشار الكتابة في البيئة العدنانية وارتباطها في الدراسات الأثرية، فقد ورد في شعر المرقش الأكبر ذكرا للكتابة المنمقة المكتوبة على الجلد بواسطة القلم[١٢٧]:

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

كما ورد ذكر الكتابة المنمقة في شعر سلامة بن جندل[١٢٨]:

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق

وورد ذكر الكتابة المنمقة أيضا في شعر طرفة[١٢٩]:

كسطور الرق رقشه بالضحى مرقش يشمه

وورد في شعر أمية بن أبي الصلت ذكر الخط وأدوات الكتابة كالقلم[١٣٠]:

قومي لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعا والخط والقلم

كما ورد في شعر الحارث بن حلزة ذكر الكتابة ونوع الورق الذي يكتب عليه كالمهارق وهي الصحائف الحريرية البيضاء المقواة بالصمغ[١٣١]:

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس

كما ذكر الحارث أن حلف ذي المجاز كان مكتوبا في مهارق[١٣٢]:

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الخون والتعدى وهل تنق ض ما في المهارق الأهواء

كما بين لنا ابن أبي خاذم وهو شاعر جاهلي قديم ما يفيد وجود كتب مؤلفه في العصر الجاهلي[١٣٣]:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار

وورد ذكر الخط والكتب (الزبر) في شعر المرا ر بن المنقد[١٣٤]:

وترى فيها رسوم قد عفت مثل خط اللام في وحي الزبر

وورد ذكر التنميق في الكتابة على أيدي كتاب متخصصين في شعر الأخنس بن شهاب التغلبي:

لابنة حطان بن عوف منازل كما رقش العنوان في الرق كاتب

وورد في شعر لبيد بن أبي ربيعة ما يفيد أن الكتابة على الحجر كانت شائعة في البيئة العدنانية[١٣٥]:

فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحى سلامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

كما ورد أيضا في شعر زهير ما يفيد أن الكتابة على الحجر كانت شائعة في البيئة العدنانية[١٣٦]:

لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحى في حجر المسيل المخلد

هذه الامثلة توضح أن الكتابة كانت معروفة ومنتشرة[١٣٧] في الجاهلية، كما توحي التعابير التي استعملها الشعراء ان الكتابة كانت على مستوى رفيع من الاتقان والجمال، واللافت للنظر أن هذه المحاولات لم تقتصر على تعريفنا بأن الكتابة كانت منتشرة في الجاهلية فحسب، ولكنها أكدت وجود علاقة بين الآثار والكتابة. فمحاولة الأخنس توحي بأن العلاقة بين المنازل والكتابة أكبر من استعارة بلاغية أو تشبيه لغوي، ولكنها تؤكد وجود تفسير شكلي جمالي للأثر، مرتبط بتفسير شكلي جمالي للكتابة.

فالكتابة إذن أخذت دورا ثانويا في التفسير الاثرى ، يتمثل في شكل الكتابة وليس في مضمونها ، وهذه الظاهرة تكررت في محاولات كل من: المرقش الأكبر ، سلامة بن جندل ، الحارث بن حلزة اليشكري والمرار بن المنقذ ، ولكن الأمر ، اختلف عند لبيد وزهير ، فاحتاج إلى مزيد من التفكر والتأمل ، ومرد ذلك إلى أن الشاعرين تجاوزا استعمال الكتابة من خلال الشكل إلى محاولة استعمال المضمون ، فربطا بين مادة البناء السلام (الحجر) والوحى (الكتابة) ، بالاضافة إلى ربطهما بين آثار الديار والكتابة المنقوشة على الحجر. والأمر الجدير بالملاحظة هنا هو اختيار الحجارة ، فهل كان اختيارها مجرد مصادفة أم أن الكتابة المنقوشة على الحجارة تخص آثار الديار ، فتكون بذلك عملا مقصودا ، هذا السؤال يضعنا أمام احتمالين لا نملك اثبات أو نفي أي منهما ، فاذا كان اختيار الحجارة كمادة للكتابة مجرد مصادفة ، فان محاولتي لبيد وزهير لا تخرجا عن حدود المحاولات السابقة ، أما إذا كانت الحجارة المنقوشة تخص آثار الديار ، بالرغم من عدم معرفتنا بما تحويه من كتابة فبامكاننا الادعاء أن التفسير العلمي للآثار قد اعتمد على النقوش والكتابات في دراسته لآثار البيئة العدنانية. ولكن وفي جميع الأحوال تبقى حقيقة واحدة نملك اقرارها وهي أن ما ذكره كل من لبيد وزهير يؤكد وجود مدونات حجرية في البيئة العدنانية سواء كانت هذه النقوش مكتوبة بالعربية الفصحى - لغة الشعر الجاهلي - أم بأي قلم آخر.

ومما يعزز هذه الحقيقة ما ذكره ابن النديم في الفهرست (ص:٧-٨): من أن قريش عندما هدمت الكعبة وجدوا في ركن من أركانها حجرا مكتوبا فيه: "السلف بن عبقر يقرأ على ربه السلام من رأس ثلاثة آلاف سنة" ، وهو مكتوب بخط "الجزم" ، كما ذكر ابن النديم: ان خزانة الخليفة المأمون كانت تحوي كتابا بخط عبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه الصلاة والسلام ، يذكر فيه دينا له على رجل حميري قيمته ألف درهم فضة. وأضاف ابن النديم ، ان هذا الكتاب كتب بخط يشبه خط النساء ، ولم يوضح ما هو خط النساء كما ذكر ابن النديم: وجود شاهد قبر بمكة يحمل اسم أسيد بن أبي العيص ، وهو أحد كتاب العرب.

فاذا أخذنا بروايات ابن النديم نجد أن الاحتمال الثاني أقرب إلى الواقع. ولكن رغم سعة اطلاع ابن النديم وموسوعيته ، الا أننا لا نستطيع الأخذ بكل هذه الروايات وذلك لانفراد ابن النديم بذكرها ، ولعدم ذكره للمصادر التي استقى منها هذه المعلومات.

ومما يعزز هذه الحقيقة أيضا النقوش والكتابات الأثرية التي عثر عليها في بلاد الشام وشمال الحجاز ، نذكر منها حجر النمارة (شكل-١) ، ونقش حران (شكل-٢) ، وهما نقشان بالقلم النبطي (العربي) ، اذ يرجع تاريخ الأول إلى القرن الرابع الميلادي ، في حين يرجع تاريخ الثاني إلى القرن السادس الميلادي. والأخير نقش معماري يؤرخ لبناء كنيسة (ذا المرطول بحران اللجا) وهذا النقش يسهم في عملية التفسير العلمي للآثار ، ولكن تصنيفه كنقش نبطي أعاق توظيف هذا النقش في عملية التفسير العلمي ، ومع أننا لا نعير هذا التصنيف اهتماما - لكون هذا النقش مقروءا بالعربية التي نستعملها اليوم كما يظهر في شكل الحروف وفي شكل الكلمات وفي طريقة الكتابة المائلة وفي الأسماء العربية المذكورة في النقش وحتى في البناء اللغوي للنقش ، أضف إلى ذلك أن الانباط عرب[١٣٨] ، الا أننا نميل إلى تصنيف هذا النقش وغيره من النقوش النبطية التي وجدت في مدائن صالح.

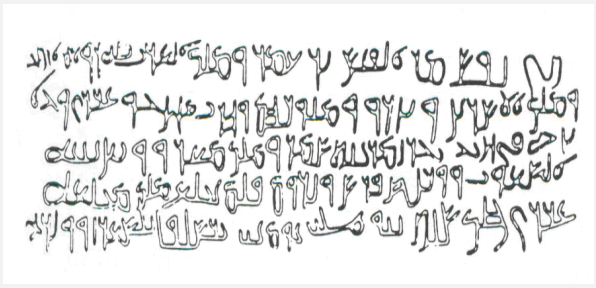

حجر النماره
الخط العربي في القرن الرابع الميلادي

هذا النقش وجد على حجر قبر امرئ القيس بن عمرو أحد ملوك اللخميين في الحيرة ، وعثر عليه في خرائب النمارة ، بمنطقة حوران ، ويعود تاريخه إلى سنة ٣٢٤م.

قراءة النقش

١- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج.
٢- وملك الاسدين ونزور وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء.
٣- يزجو في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو وأنزل بنيه.
٤- الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
٥- عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول بلسعد ذو ولده.

النص والترجمة منقولان من الجزء الخامس من كتاب ، *تاريخ الجنس العربي* ، للاستاذ محمد عزة دروزة ، (ص:٤٠٤) ومن الجزء الأول من كتاب ، *تاريخ الآداب العربية* ، للأستاذ مصطفى الرافعي ، (ص: ٨٥).

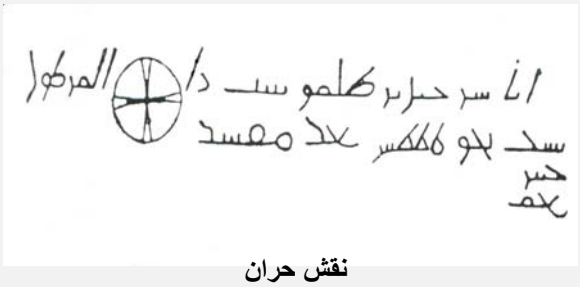

نقش حران
الخط العربي في أواخر القرن السادس الميلادي

قراءة النقش

"أنا شرحبيل بن ظلموا بنيت ذا المرطول
سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعام"

ولقد صاحب هذا النقش نص يوناني جاء فيه : "أسس شرحبيل بن ظالم سيد القبيلة مرطول مار يوحنا في سنة ٤٦٣ من الأندقطية الأولى" والجملة الأخيرة تعبير زمني عند الرومان ، ويخمن كتابته سنة ٥٦٨م".

النص والترجمات منقولة من الجزء الثامن من كتاب ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، للدكتور جواد علي ، (ص: ١٧٧) ومن الجزء الخامس من كتاب *تاريخ الجنس العربي* ، للأستاذ محمد عزة دروزة ، (ص : ٣٩).

كامتداد لنهاية فترة التوثيق بالأقلام العربية التي سادت قبل نشأة الشعر الجاهلي، كالمسند الحميري والجزم، وذلك لأن الشعراء العرب لم يستعملوا هذه المدونات والنقوش. وربما يعود ذلك أما إلى عدم اهتمامهم بها أو لجهل معظمهم القراءة كما أسلفنا، ولكننا نرجح الاحتمال الأول، وذلك لأن بعض الشعراء كانوا يجيدون القراءة والكتابة[١٣٩]. ومما يدلل على ذلك المراسلات التي كانت معروفة في الجاهلية كصحيفة المتلمس[١٤٠] وصحيفة لقيط[١٤١] وصحيفة المقاطعة[١٤٢] (صحيفة قريش)، كما كتب أحد الشعراء على باب دار الندوة[١٤٣] شعرا. فكما نرى أن المحاولتين الأخيرتين تجاوزتا حدود التعريف بانتشار الكتابة إلى الارتباط بمبان ذات قيمة معمارية وأثرية، ولكن دون الاسهام في عملية التفسير العلمي وتبقى أمامنا محاولة أخيرة، فريدة، ومميزة وهي كتابة المعلقات وتعليقها على جدران الكعبة[١٤٤]، وما تتميز به هذه المحاولة - اذا صح حدوثها - هو أن أحد المعلقات، وهي معلقة زهير، حددت نوع ووظيفة البناء كما حددت هوية بناة المبنى الذي علقت عليه:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

فتعرفنا على نوع ووظيفية البناء الدينية من خلال عملية الطواف، لأن الطواف لا يتم الا في الكعبة، كما حدد زهير قبيلتي قريش وجرهم كبناة للكعبة الشريفة، وبذلك تكون الكتابة قد استعملت في عملية التفسير العلمي للآثار، ولكننا لا نستطيع التعويل على هذه المحاولة، وذلك لانعدام السند التاريخي من ناحية ولعدم توفر الفكرة من ناحية ثانية. فالسند التاريخي لا يتم الا بثبوت الخبر أو بترجيح ثبوته وهذا لم يتات لنا، والفكرة لا يؤخذ بها ولا يعول عليها الا اذا كانت مقصورة على الهدف الذي كرست له، وهذا أيضا لم يتوفر لنا، وذلك لأن الغرض من قول القصيدة لم يكن تعليقها على الكعبة، كما أن فكرة تحديد هوية بناة الكعبة لم تكن مقصودة لذاتها[١٤٥]، وانما جاءت في سياق القصيدة. أضف إلى ذلك أن الكعبة ليست اثرا وانما هي صرح معماري قائم إلى الآن، ويؤدي وظيفته بكفاءة تامة، ولم ينفصل عنه العامل البشري اطلاقا، ابتداءا من بناء ابراهيم واسماعيل[١٤٦] لها حتى يومنا الحاضر. والكعبة هي الصرح المعماري الوحيد في العالم الذي يستعمل أربعا وعشرين ساعة في اليوم على مدار الزمن. اذن ولكل هذه الأسباب نستطيع القول أن الكتابة لم تلعب دورا في عملية التفسير العلمي للآثار شأنها شأن الدين، الذي سنعرض له فيما يلي بشئ من الدراسة والتحليل.

الديـــــن

لقد ترك الشعر الجاهلي معلومات لا بأس بها عن الحياة الدينية[١٤٧] في العصر الجاهلي، فتعرفنا على الديانات التي كانت سائدة في البيئتين اليمنية والعدنانية : من وثنية وحنيفية ومسيحية[١٤٨]. وكانت الوثنية أقدم هذه الديانات وأكثرها انتشارا في جميع أنحاء الجزيرة العربية. واكتسبت الوثنية شكلها ووجودها الفعلي في البيئة العدنانية بعد انحسار الحنيفية، وذلك بعد ادخال الاصنام إلى مكة على يد عمرو بن لحى الخزاعي[١٤٩]. والديانة الوثنية ربما تسهم في دراسة الآثار المتنقلة، لأن العنصر الرئيسي فيها هو التماثيل على اختلاف مادة صنعها، ولكن الوثنية لم تسهم في دراسة الآثار المعمارية ولا في التفسير العلمي للآثار بشكل فعال، وذلك لعدم ارتباط هذه الأصنام بمبان ثابتة، هذا مع وجود بعض الاستثناءات نذكر منها: الكعبة المشرفة بمكة، وكعبة نجران، وبيت ريام[١٥٠]، وبيت العزى (الغبغب)[١٥١]، وكعبة ذي الخلصة[١٥٢]، (الكعبة اليمانية) وكعبة اياد[١٥٣] (سنداد). أما الكعبة المشرفة فقد ارتبط بها الصنم هبل[١٥٤] وكان موضوعا في جوفها، وسبق أن ذكرنا أن الكعبة المشرفة لا يمكن دراستها من وجهة نظر أثرية، وذلك لاستمرارها في اداء وظيفتها، اما باقي الكعبات فهي عبارة عن بيوت مربعة المسقط مكعبة الشكل، كانت تحوي أصناما، ولا يوجد خلاف بين الرواة[١٥٥] على شكل هذه البيوت، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد بأن التكعيب كان مذهبا فنيا ومعماريا متبعا في الجاهلية، وهذا يسهم في عملية التفسير العلمي للآثار، وربما تكون الكعبة المشرفة مثالا حيا على مثل هذا النوع من مباني العبادة، الا أن اختلاف مواد البناء التي استعملت في بناء باقي الكعبات ربما يعوق عملية دراسة التفاصيل المعمارية والانشائية لهذا النوع من المباني، وذلك لصعوبة القياس من ناحية وللتطورات التي حدثت في بناء الكعبة المشرفة على مر العصور من ناحية أخرى، أضف إلى ذلك انعدام الوصف التحليلي لهذه الكعبات في الشعر الجاهلي، الأمر الذي زاد من صعوبة دراستها والتعرف على تقانة بنائها. الا أننا أمام حالة فريدة من نوعها وهي كعبة نجران، التي سبق وأن أشرنا اليها في شعر الأعشى. فقد بين ابن الكلبي في كتابه، *الأصنام*، (ص-٤٥) : انها لم تكن كعبة عبادة بل غرفة لبني الحارث بن كعب. وقد ذهب، جواد علي في كتابه، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام*، (ج٩/٤١٧): إلى أن كعبة نجران عبارة عن بيعة للنصارى بنيت من الجلد[١٥٦]، بناها بنو عبد المدان بن الريان الحارثي، رؤساء نصارى نجران، مضاهاة للكعبة المشرفة بمكة المكرمة، ولقد بنى رايه على الأخبار التي وردت عن هذه الكعبة، وعلى أسماء أصحابها المسيحية وعلى كون نجران مركز المسيحية في اليمن. ونحن نميل إلى رأي الدكتور جواد علي، ونخلص من ذلك إلى أن العمارة الدينية المسيحية الأولى في البيئة اليمنية، قد وقعت تحت تأثير العمارة الدينية المحلية للبيئة العدنانية العربية. فالمسيحية اذن تبنت الاتجاه التكعيبي المعماري في مبانيها الدينية، وبنفس الشكل الذي أفرزته الحنيفية (الاسلامية) وكما تبنته الوثنية العربية في مبانيها الدينية المتمثلة في الكعبة المشرفة وفي باقي الكعبات التي أسلفنا ذكرها.

والحنيفية دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، وكانت ديانة العرب قبل أن يتحولون إلى عبادة الأصنام. والحنيفية أول دين سماوي أقام مبنى للعبادة وهو الكعبة المشرفة التي ما تزال ماثلة إلى يومنا هذا، وقد تعاقبت عليها الوثنية والاسلام، ولم يصل إلى علمنا أن الحنيفية ارتبطت بأي مبنى ديني آخر غير الكعبة. *فالحنيفية اذن لم تسهم في عملية التفسير العلمي للآثار وانما ارست لنا اتجاها معماريا وفنيا، وهو الاتجاه التكعيبي*، وقد طغى هذا الاتجاه على جميع المباني الدينية الوثنية، والمسيحية في بلاد اليمن، أما اليهودية فلم يرد لمبانيها الدينية ذكر في الشعر الجاهلي، وربما يكون مرد ذلك إلى حداثة عهدها في الحجاز واليمن، وإلى عزلة اليهود المعهودة فيهم وإلى استعمالهم نفس المباني التي كان يستعملها سكان المدينة المنورة والمعروفة بالاطام (الحصون)، فلم يجد الشعراء الجاهليون في هذه الاطام أو في البيئة اليهودية أي غريب غير مألوف يسترعي انتباههم.

والمسيحية لم تكن أفضل وضعا من اليهودية ، اذ لم يرد لمبانيها الدينية ذكر مباشر في الشعر الجاهلي ، باستثناء ما سبق ذكره عن كعبة نجران ، وما ورد ذكره عن بعض العناصر التي توحي بوجود مبان للديانة المسيحية ، كمنارة الراهب التي أشرنا اليها سابقا في شعر امرئ القيس ، والناقوس[١٥٧] الذي ورد ذكره في شعر المتلمس[١٥٨] ، والمرقش الأكبر[١٥٩] ، والأعشى[١٦٠] ، والأسود يعفر[١٦١] . والمسيحية نشأت في بلاد الشام وتركزت في المناطق البعيدة عن العمران الحضري والريفي ، وذلك لأنها كانت مضطهدة من الرومان. ولم يعرف للمسيحية مبان دينية ذات قيمة تذكر ، قبل القرن الرابع الميلادي[١٦٢] ، وربما كانت مبانيها الدينية في بادئ الأمر هي بيوت اقامة الرهبان الذين هربوا من الاضطهاد الروماني إلى المناطق المعزولة والنائية طلبا للسلامة.

هذه العزلة السياسية ، أدت بدورها إلى عزلة بيئية : اجتماعية وعمرانية فالاتباع بحاجة إلى التوجيه والارشاد وتعلم طقوس الدين وممارسته ؟ وإلى بيئة حضرية تفرض أو تمارس نوعا من التقارب البيئي العمراني فتشجع على استحداث مبان خاصة للعبادة. أضف إلى ذلك أن طبيعة الدين المسيحي ، كما وردت في وصايا[١٦٣] المسيح عليه السلام لا تتطلب مبان خاصة للعبادة ، وأكثر من ذلك أن الطبيعة التقشفية[١٦٤] ، للمسيحية لم تساعد على استحداث مثل هذه المباني: وأكثر من ذلك أيضا ، ان المسيحية دين عاطفي - يهدف إلى سعادة الانسان ، بتخليص الجسد وتطهير الروح من الاثام - لا تحوي فكرا[١٦٥] قادرا على افراز ظواهر حضارية: كالفن والعمارة. وربما لهذه الأسباب جميعا تبنت المسيحية الاتجاه التكعيبي في البيئة اليمنية ، فقد توفر لها الحرية السياسية والتقارب البيئي والعمراني فكان لرعاتها حرية الاختيار بين التكعيبية العدنانية وعمارة المعابد و"المساجد"[١٦٦] في البيئة اليمنية ، فاختاروا بساطة التكعيب ربما لتناسبها مع الطبيعة التقشفيه للدين المسيحي ، ولكن حرية الاختيار انعدمت عند اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية ، فكان الاعتراف السياسي مصحوبا بفرض عمارة خارجية ودخيلة على البيئة العربية في بلاد الشام وعلى الديانة المسيحية ، وهي البازيليكا[١٦٧] الرومانية (البيزنطية) ، الأمر الذي أدى إلى خلق انفصام بيئي ديني ومعماري ، وربما يكون هذا الانفصام أحد الأسباب التي أدت إلى عزوف الشعر الجاهلي عن توثيق مباني العبادة المسيحية ، واكتفى بالتلميح ببعض أجزائها. أضف إلى ذلك تزامن الشعر الجاهلي ونشأة مباني العبادة المسيحية ، فلم يكن للأخيرة جذور بيئية كما لم يكن للشعراء خبرة سابقة بهذا النوع من المباني سواء على المستوى الشخصي أو على المستوى البيئي (القومي). ونخلص من ذلك إلى أن الدين المسيحي لمي يسهم في عملية التفسير العلمي للآثار في العصر الجاهلي ، ولكنه أسهم فيما بعد ، فقد أفرد بعض الآثاريين المسلمين ، كتبا خاصة عن الديارات المسيحية في ديار الإسلام ، سنعرض لها بالتفصيل في الجزء الأخير من هذه الدراسة.

نخلص مما تقدم عرضه أن الدين لم يسهم في التفسير العلمي ، بشكل ايجابي ، باستثناء الحنيفية ، التي أرست لنا مفاهيم الاتجاه التكعيبي في الفن والعمارة وما عدا ذلك كان تلميحا لا يثري عملية التفسير. فالكتابة والدين اذن لم يسهما في عملية التفسير العلمي للآثار في العصر الجاهلي. ويبدو أن الإسهام الفعلي في التفسير العلمي للآثار ، اعتمد على تقانة البناء ، التي أسهب الشعر الجاهلي في تسجيلها ، كالمحاولات التي عرضناها للافوه الاودي ، والخاصة بتقانة بناء البيوت ، وكذلك محاولات طرفة ولبيد الخاصة ببناء القبور ، كما تعرفنا على عناصر ومواد البناء المختلفة ، ووظيفة كل عنصر من هذه العناصر ، نذكر منها: النؤي ، والأوراي ، والاوتاد ، والاعمدة...وما يمنعنا من حصر هذه العناصر وتحليلها وابراز دور التقانة بالتفصيل في عملية التفسير العلمي ، هو أن الأثاريين المسلمين قاموا بحصر جميع عناصر هذه التقانة وافردوا لها كتبا خاصة سنعرض لها لاحقا في الجزء الأخير من هذه الدراسة ، ابرازا لأدوارهم وتقديرا لجهودهم ، واعترافا بفضلهم وبيانا لموقع الفكر الأثري ومكانته عند العرب المسلمين.

أما المقارنات الأثرية فقد كان لها دور في عملية التفسير العلمي ، ظهر واتضح في محاولات أسعد تبع وعلقمة بن ذي جذن ، فكلاهما أبرز هذا العامل من خلال منظور اقليمي قومي ، وبطريقة يغلب عليها طابع الفخر وليس الطابع التحليلي العلمي ، ولكن هذه المحاولات لم تخل من ابراز خصائص القرين ، آثار البيئة اليمنية - ولكنها أغفلت خصائص المقارن ، وربما يعود هذا الاغفال لعدم ذكر المقارن أصلا. وبالرغم من ذلك فانه يمكن توظيف هذه المحاولات في عملية التفسير العلمي للآثار.

بناءً على ما تقدم يكون التفسير العلمي قد وظف جميع عناصر أسلوب المدرسة الأثرية ، بما فيها اللغة والدين وتقانة البناء ، معتمدا في ذلك على الملاحظة الدقيقة ، ومتبنيا تقانة الوصف التحليلي ، ومتخذا من الشعر وسيلة في عملية التوثيق الأثري. ومع كل ذلك ، لا نرى في الشعر الجاهلي ، محاولة تفسير علمي شاملة وظفت أو حاولت توظيف العناصر التي عرضنا لها ، ولكننا نرى في تجميع المحاولات الجزئية التي عرضنا لبعض منها ، تحقيقا لشمولية التفسير العلمي للآثار ، وهنا ينبغي علينا أن نعي ، أن عدم وجود محاولة شاملة للتفسير العلمي ، لا تعني قصورا في فكر المدرسة الأثرية العربية في العصر الجاهلي ، وإنما قصورا في التطبيق ، له أسبابه وظروفه التي أوضحناها على مدار هذه الدراسة. وأخيرا فإننا نخلص بعد كل ما تقدم من شرح وتحليل ، إلى أن المحاولات الأثرية التي أفرزها الشعر الجاهلي ، قد أرست قواعد وأسس فكر المدرسة الأثرية العربية ، التي ارتقى بها القرآن الكريم ، وربطها بفلسفة التاريخ الإسلامي ، وعمل على إعادة تشكيل هذه المدرسة وصقل مفاهيمها وفكرها وهو الموضوع التالي في دراستنا.

الهوامش

١- هذا التعريف ورد في مجموعة من الكتب العربية سنعرض لها بالتفصيل في الجزء الأخير من هذه الدراسة ونكتفي هنا بذكر بعض منها.
أ - الجاحظ ، *الحيوان* ، (ج ١/ ٤٢ - ٤٨ ، ٦٨ - ٧٣)
ب- البيروني ، *الآثار الباقية من القرون الخالية* ، (ص-٤)
جـ- اسامة بن منقد ، *المنازل والديار* ، (ج ١/ ١-٤)
د - الزبيدي ، *تاج العروس* ، (ج ١٠/ ١٠ - ٤٢)
هـ- عبد اللطيف البغدادي ، *الافادة والاعتبار* ، (ص :١٧ - ٧٦)

٢- انظر: الجاحظ ، *الحيوان* ، (ج ١/ ٦٨ - ٧٥)

٣- عرض المؤلف بالتفصيل للبداية الزمنية للجنس العربي ومراحله الحضارية في القسم الأول من هذه الدراسة ، والخاص بالتفسير التاريخي للظاهرة المعمارية ، وسيشار إلى هذا القسم فيما بعد بالتفسير التاريخي. وقد قدم هذا القسم كبحث في ندوة الحضارة الاسلامية التي أقيمت في الكويت بتاريخ ١٧ - ٢٠/ ١٢ / ١٩٨٤ ، برعاية منظمة اليونسكو. وستطبع جميع الأبحاث التي قدمت في الندوة بكتاب خاص لم يصدر بعد.
انظر : محمد عزة دروزة ، *تاريخ الجنس العربي* ، (ج ٥/ ١٠ - ٥٨)

٤- الدكتور الأنصاري هو رئيس قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود بالرياض ، ويرأس مشروع التنقيب عن الآثار في المملكة العربية السعودية ومن منجزاته التي وصلت الينا:
أ - د. الأنصاري ، *قرية الفاو* ، جامعة الرياض ، (١٣٧٥ - ١٤٠٢ هـ)
ب- د. الأنصاري وآخرون ، *مواقع أثرية مصورة من حضارة العرب في المملكة السعودية ، العلا (ريدان) ، الحجر (مدائن صالح)* ، جامعة الملك سعود ١٩٨٤.

٥- انظر : المؤلف ، التفسير *التاريخي*.
: محمد عزة دروزة ، *تاريخ الجنس العربي* ، (ج ٥/ ١٠-٥٨)

٦- ان كثرة تسميات اللغات لا تعني بالضرورة أنها لغات مستقلة ، فقد ذكر الدكتور جواد علي في كتابه ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج ٨/ ٢٣٠ - ٢٤١ ، أن الكتابات اللحيانية والثمودية لا تعني لغات خاصة بهذه الأقوام بالرغم من وجود تباين في كتابة بعض حروف هذه "اللغات" ، ويرجع هذا التباين إلى نوعية القلم المستعمل في الكتابة ولكنها جميعا في رأيه مشتقة من القلم المسند ، كما ذكر أن الكتابات الصفوية اطلقت على الخطوط التي وجدت بمنطقة الصفا القريبة من حوران بجنوب سوريا فهي منسوبة إلى المكان وليس إلى لغة مستقلة ، ويشاركه في هذا الرأي الدكتور شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* ، (ج ١/ ٣٣) ، فيرجع جميع الكتابات "اللحيانية ، الدادانية ، الصفوية ، الثمودية ، المعينية ، والسبئية" ، إلى الخط المسند أو القلم المعيني الجنوبي ، وفي رأيه أن جميع هذه الكتابات (اللغات) عربية لأن خصائصها اللغوية قريبة من خصائص اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، كما يرجع شوقي ضيف ، تطور القلم العربي إلى القلم النبطي الذي اشتق من القلم الأرامي المشتق أصلا من القلم الفينيقي ، ويعزي تغلب القلم العربي المتطور عن القلم النبطي على القلم المعيني الجنوبي (بالرغم من كونهما متشابهان في خصائص اللغة) إلى تخلي عرب الحجازعن القلم المعيني وتبنيهم القلم العربي ، وهناك رأي آخر تبناه الأستاذ محمود شكري الألوسي في كتابه ، *بلوغ الأرب* ، (ج ٣/ ٣٦٧ - ٣٧٤) ، يقول بتطور القلم العربي عن المسند الحميري ، وسمي بالبداية بخط الجزم قبل أن يسمى بالكوفي وذلك لأنه اقتطع من المسند الحميري ذو"الحروف المتصلة".

٧- المراحل الأولى للقلم العربي ظهرت في بعض النقوش التي وجدت في منطقة حران بسوريا.
انظر : محمد عزة دروزة ، *تاريخ الجنس العربي* ، (ج ٥/ ٣٩ - ٤٠٤)
: مصطفى صادق الرافعي ، *تاريخ آداب العرب* ، (ج ١/ ٨٥)
: د. شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* ، (ج ١/ ٣٥)

٨- انظر : المؤلف ، *التفسير التاريخي*.

٩- انظر : انظر الزبيدي ، *تاج العروس* ، (ج ١٠/ ١٢)

١٠- المصدر السابق ، (ج ١٠/ ٢٢)

١١- المصدر السابق ، (ج ١٠/ ٢٢)

١٢- أسعد تبع أحد ملوك الدولة الحميرية الثانية الممتدة بين (٣٠٠-٥٢٥م) ، وحكم من (٣٤٠ - ٣٧٨م).
انظر : الهمداني ، *الاكليل* ، (ج ٨/ ١٦)

١٣- انظر : السياغي ، *معالم الآثار اليمنية* ، (ص - ٨)
: الهمداني ، *الاكليل* ، (ج ٨/ ١٦)

١٤- انظر : أسامة بن منقد ، *المنازل والديار* ، (ج ١/ ٦)

١٥- انظر : سورة غافر ، الآية : ٢١

١٦- انظر : سورة الفتح ، الآية : ٢٩
: الصابوني ، *صفوة التفاسير* ، (ج ٣/ ٢٢٨)

١٧- هذا التقسيم ورد أيضا في مجلة الآثار السعودية ، *اطلال* ، العدد الأول ، (ص - ٥) سنة ١٩٧٧.

١٨- تناول المؤلف التواصل التاريخي والحضاري والاجتماعي باسهاب في *التفسير التاريخي*.

١٩- انظر : *ابن رشيق* ، *العمدة* ، (ج ١/ ٢٧)
: ابن سلام الجمحي ، *طبقات الشعراء* ، (ص - ١٧)

٢٠- *انظر* : الهمداني ، *الاكليل* ، (ج ٨/ ٢٢٥)
: السياغي ، *معالم الآثار اليمنية* ، (ص:٨، ٧)

٢١- انظر الهمداني ، الاكليل ، (ج ٨/ ٢٩)

٢٢- المصدر السابق ، (ج ٨/ ٥٤)

٢٣- المصدر السابق ، (ج ٨/ ٥٥)

٢٤- المصدر السابق ، (ج ٨/ ٥٦)

٢٥- المصدر السابق ، (ج ٨/ ٦٤)

٢٦- المصدر السابق ، (ج ٨/ ٧٩)

٢٧- انظر : الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص : ٤ - ٨)
: د. شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* ، (ج ١/ ٢٣٢ - ٢٦٥)
: د. طه حسين ، *في الأدب الجاهلي* ، (ص: ٢٠٢ - ٢٠٤)

٢٨- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج ٢/ ٤٤٥، ٣٢٥)
: البكري ، *معجم ما استعجم* ، (ج ٢/ ٤٧٧ ، ٥٤٨)
: الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص: ٤ - ٨)

٢٩- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج ٢/ ٢٥٩ ، ج ٥/ ١٧٤)
: البكري ، *معجم ما استعجم* ، (ج ١/ ٣٢٤ ، ج ٤/ ١٢٥١)
: الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص:٤-٨)

٣٠- تيماء مدينة قديمة تقع على بعد ١٠٠ كم سمال شرقي مدائن صالح ، وهي مركز حضاري عربي قديم ، وقد جاء ذكرها في نقش تيغلات بلاسر الثالث ملك أشور (٧٤٤ - ٧٢٧) ق.م.
انظر : *مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية* ، إدارة الآثار والمتاحف وزارة المعارف ، الرياض ، (ص - ٩٧) سنة ١٩٧٥م.

٣١- انظر : الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص - ٤٦)
: د. شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* ، (ج ١/ ٢١)

٣٢- انظر : ابن سلام الجمحي ، *طبقات الشعراء* ، (ص - ٢١)
: عبد العظيم قناوي ، *الوصف في الشعر العربي* ، (ج ١/ ٣٢)
: د. شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* ، (ج ١/ ١٨٣)

٣٣- انظر : المصدر الأول والمرجعين في الملاحظة السابقة (٣٢)

٣٤- هو عبيد بن ثعلبه بن يربوع من بني حنيفة ، نزل اليمامة بموضع يقال له فادان ، بها آثار فأقام بها.
انظر : البكري ، *معجم ما استعجم* ، (ج ١/ ٨٤)

٣٥- انظر : *ديوان* زهير بن أبي سلمى ، (ص:١٩ - ٢٣)

٣٦- انظر : ديوان طرفة بن العبد ، (ص - ١٩)

٣٧- انظر : ديوان النابغة الذبياني ، (ص - ٣٠)

٣٨- انظر : ديوان الأعشى ،(ص - ٤٧)

٣٩- المصدر السابق ، (ص - ٧١)

٤٠- المصدر السابق ، (ص - ١٠٦)

٤١- المصدر السابق ، (ص - ١٣٢)

٤٢- انظر : الهمداني ، الاكليل ، (ص - ٦٩)

٤٣- انظر : *ديوان* الأعشى ، (ص - ١٨٣)
٤٤- المصدر السابق ، (ص - ٢٥)
٤٥- انظر المصدر السابق ، (ص - ١٤)
٤٦- المصدر السابق ، (ص - ٥٥)
٤٧- المصدر السابق ، (ص - ١٤٧)
٤٨- انظر : *ديوان* طرفة بن العبد ، (ص : ٣٠)
٤٩- انظر : الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص : ٢٦)
٥٠- انظر : *ديوان* الأعشى ، (ص - ٢٠٠)
٥١- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٢/٢٦٧-٢٦٩)
: البكري ، *معجم ما استعجم* ، (ج١/ ٤٥٣ - ٤٥٥)
: سراج الدين بن عمرو الوردي ، *خريدة العجائب* ، (ص : ٣٦ - ٣٧)
٥٢- انظر : الخطيب التبريزي *شرح اختيارات المفضل* ، (ج٢/٩٦٩)
: الهمداني ، *صفة جزيرة العرب* ، (ص : ٣٩٧)
٥٣- انظر : البلاذري ، *فتوح البلدان* ، (ص ٦٩)
: ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٢/٤٢٣)
٥٤- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٢/٤٢٣)
٥٥- انظر : البكري ، *معجم ما استعجم* ، (ج١/٥-٩٠)
٥٦- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٣/٢٠٥)
٥٧- انظر : *ديوان* لبيد بن أبي ربيعة ، (ص - ٣٠١)
٥٨- انظر : البكري ، *معجم ما استعجم* ، (ج١/٦١)
ملاحظة: لم أجد هذا البيت في *ديوان* طرفة بن العبد ، المطبوع بدار صادر ، بيروت.
٥٩- المصدر السابق ، (ج١/١٦)
٦٠- انظر : الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص - ١٤٨)
٦١- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٥/٢٦٢)
٦٢- انظر : طه حسين ، *في الأدب الجاهلي* ، (ص - ١٨٦)
٦٣- انظر : ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٣/٢٦٧)
٦٤- المصدر السابق ، (ج٣/٣٢٥)
٦٥- انظر : *ديوان* الأعشى ، (ص ١١٦)
٦٦- انظر : الهمداني ، *الاكليل* ، (ص - ٤٨)
٦٧- المصدر السابق ، (ص - ٥٠)
٦٨- المصدر السابق ، (ص - ١٥)
٦٩- المصدر السابق ، (ص - ٥٥)
٧٠- المصدر السابق ، (ص:٦٤ ، ٦٥)
٧١- المصدر السابق ، (ص - ١٤)
٧٢- انظر : جرجي زيدان ، *تاريخ الآداب العربية* ، (ج١/١٣٤)
٧٣- انظر : ديوان عنترة ، (ص - ٢١٢)
٧٤- المصدر السابق ، (ص - ٢١٩)
٧٥- انظر : ابن قتيبة ، *أدب الكاتب* ، (ص - ٩٣)
: الألوسي ، *بلوغ الأرب* ، (ج٣/٣٦٠)
٧٦- المصدر والمرجع السابقين ، (ج٣/٣٦٠)
٧٧- المصدر والمرجع السابقين ، (ج٣/٣٦٠)
٧٨- المصدر والمرجع السابقين
٧٩- المصدر والمرجع السابقين
٨٠- المصدر والمرجع السابقين
٨١- انظر : الهمداني ، *الاكليل* ، (ج٨/١٥)
٨٢- انظر : الخطيب التبريزي ، *شرح اختيارات المفضل* ، (ج١/٢١٧ - ٢١٨)
٨٣- المصدر السابق ، (ج١/٣٠٦ ، ٣١٥)
٨٤- انظر : *ديوان* الأعشى ، (ص - ٨٨)
: عبد العظيم قناوي ، *الوصف في الشعر العربي* ، (ج١/٦)
٨٥- انظر : الخطيب التبريزي ، *شرح اختيارات المفضل* ، (ج٢/٩٦٩)
: الهمداني ، *صفة جزيرة العرب* ، (ص - ٣٩٧)
: ياقوت الحموي ، *معجم البلدان* ، (ج٢/٤٢٣)
٨٦- انظر : ديوان النابغة ، (ص - ٤٣)
٨٧- المصدر السابق ، (ص - ٤٨)
٨٨- المصدر السابق ، (ص:٨٧ - ٩٧)
٨٩- المصدر السابق ، (ص - ٨٧)
٩٠- انظر : *ديوان* طرفة بن العبد ، (ص:٧٩ - ٨٠)
٩١- انظر : *ديوان* عنترة بن شداد ، (ص - ٥٦)
٩٢- المصدر السابق ، (ص - ١٨٧)
٩٣- انظر : *ديوان* زهير بن أبي سلمى ، (ص - ٨٥)
٩٤- انظر : *ديوان* لبيد بن أبي ربيعة ، (ص - ٤٥)
٩٥- المصدر السابق ، (ص - ١١٩)
٩٦- المصدر السابق ، (ص : ٢٩٨ - ٢٩٩)
٩٧- المصدر السابق ، (ص - ٣٠٦)
٩٨- انظر : الخطيب التبريزي ، *شرح اختيارات المفضل* ، (ج١/٢١٧-٢١٨)
٩٩- انظر : *ديوان* النابغة الذبياني ، (ص - ٤٨)
١٠٠- المصدر السابق ، (ص - ٣٠)
١٠١- المصدر السابق (ص: ٧٨ - ٧٩)
١٠٢- انظر : *ديوان* الأعشى ، (ص - ١٣٤)
١٠٣- انظر : الخطيب التبريزي ، *شرح اختيارات المفضل* (ج١/٥٣٥-٥٤٤)
١٠٤- المصدر السابق ، (ج٢/٦٣٢ - ٦٣٤)
١٠٥- ربد النعام هي النعام الضارب لونها إلى السواد.
انظر : المصدر السابق (ج٢/٩٢٢ - ٩٢٣)
١٠٦- المصدر السابق ، (ج٢/١٠٠٩ ، ١٠٥٤ - ١٠٥٥)
١٠٧- المصدر السابق ، (ج٢/ ١١٠٧)
١٠٨- انظر : *ديوان* لبيد بن أبي ربيعة (ص: ٢٩٧ - ٣٠٠)
١٠٩- انظر : *ديوان* زهير بن أبي سلمى ، (ص : ٢٠ - ٢٢)
١١٠- هي زوجة زهير بن أبي سلمى وقد ورد اسمها في مطلع معلقته التي أشرنا إليها عندما
تكلمنا عن المكان في بداية هذا الجزء.
١١١- انظر : *ديوان* طرفة بن العبد ، (ص : ٣٣)
١١٢- انظر : *ديوان* لبيد بن أبي ربيعة ، (ص : ٣٣٥)
١١٣- انظر : الهمداني ، *الاكليل* ، (ج٨/١٤)
١١٤- انظر : *ديوان* النابغة الذبياني ، (ص : ٣٣)
: د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العربي قبل الاسلام* ، (ج٣/٧٩)
١١٥- انظر : *ديوان* الأعشى ، (ص : ١١٧)
١١٦- انظر : د. جواد على ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج١/٣٠٨)
١١٧- محمد عزة دروزة ، *تاريخ الجنس العربي* ، (ج٤/٦٧)
١١٨- انظر : سورة (ص) ، (الآيات : ٣٦ - ٣٧)
"فسخرنا الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص".
١١٩- انظر : سورة سبأ ، (الآيات : ١٢ - ١٤)
١٢٠- انظر : الصابوني ، صفوة التفاسير ، (ج٢/٥٤٨ - ٥٤٩)
١٢١- انظر : محمود شكري الألوسي ، *بلوغ الأرب* ، (ج٣/٣٦٨ - ٣٧٩)
١٢٢- المرجع السابق
: د. جواد على ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٨/١٦٣)
١٢٣- المرجعان السابقين
١٢٤- انظر : ديوان النابغة ، (ص - ٤٨)
فاستعجمت دار نعمى ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
أي أن الدار عجزت عن الجواب لعدم وضوح الدلالات البيئية.
١٢٥- انظر : *ديوان* عنترة ، (ص - ٧٨)
كوحي صحائف من عهد كسرى فأهداها لأعجم طمطمي
والأعجم الطمطمي هو الذي لا يفصح في كلامه.
١٢٦- يقول ابن النديم حول موضوع وحدة اللغة العربية العدنانية في كتابه الفهرست ، (ص-٧):
"....فلما اتسع الكلام ظهر الشعر الجيد الفصيح في العدنانية وكثر هذا بعد معد بن عدنان ، ولكل قبيلة من قبائل العرب لغة تنفرد بها وتؤخذ عنها وقد

اشتركوا في الأصل قال [محمد بن اسحاق] : وان الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم لأجل القرآن...."

ولقد تتطرق إلى وحدة القلمين العدناني والمسند الحميري كل من :

: محمد عزة دروزة ، *تاريخ الجنس العربي* ،(ج٤٦، ٥)

: د. جواد على ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج١٥٦/٨)

١٢٧- انظر : د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، (ج١٣٨/١)

: أحمد الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، (ص - ٣٨)

: الخطيب التبريزي ، شرح اختيارات المفضل ، (ج١٠٥٥/٢)

١٢٨- انظر : د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، (ج١٣٨/١)

١٢٩- انظر : ديوان طرفة بن العبد ، (ص : ٨٤)

: أحمد الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، (ص-٣٨)

١٣٠- انظر : محمود شكري الألوسي ، بلوغ الأرب ، (ج٣٦٩/٣)

١٣١- انظر : أحمد الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، (ص - ٣٩)

١٣٢- المرجع السابق

١٣٣- المرجع السابق

١٣٤- انظر : الخطيب التبريزي ، شرح اختيارات المفضل ، (ج٤٢٦/١)

١٣٥- انظر : ديوان لبيد بن أبي ربيعة ، (ص : ٢٩٧ - ٢٩٨)

: د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، (ج١٣٨/١)

١٣٦- انظر : د. جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، (ج٣٦٥/٨)

١٣٧- ذكر أحمد الحوفي في كتابه ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، (ص - ٣٩):

ان الشعراء "عدي بن زيد العبادي ، ولقيط بن يعمر الأيادي ، وسويد بن الصامت الأوسي ، وعبد الله بن رواحة ، والربيع بن زياد العبسي ، والمرقش الأكبر وأخوه حرملة ، وكعب بن مالك الأنصاري ، والزبرقان بن بدر وكعب بن زهير وأخيه بجير بن زهير ، ولبيد العامري ، جميعهم يجيدون القراءة والكتابة".

: انظر د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، (ج٢٥٢/٩)

١٣٨- انظر : د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، (ج٥/٣-٧٥)

١٣٩- انظر : هامش (رقم ١٣٨)

١٤٠- تتلخص قصة صحيفة المتلمس في أنه وابن أخته طرفة بن العبد تعرضا لغضب عمرو بن هند ملك الحيرة ، فأراد الملك قتلهم ، فكتب بصحيفتين إلى عاملة على البحرين وحملها للمتلمس وطرفة وأمرهما بالمسير إلى البحرين فرغب الأول عن المسير لشكوكه بما تحويه الصحيفة ، أما طرفة فتابع المسير وسلم الصحيفة إلى عامل البحرين ، فنفذ الأخير أمر الملك وقتل طرفة ، وبهذا قال المتلمس شعرا:

أودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حياته المتلمس

الق الصحيفة ، لا أبالك انه يخشى عليك من الحبا النقرس

: انظر د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، (ج٢٦٧/٨)

١٤١- تتلخص قصة صحيفة لقيط في أن قومه اياد أغارت على بلاد الفرس وأوقعت بهم ، فاراد الفرس الانتقام مما فعلت اياد بهم ، فاستعدوا وبدءوا بتجهيز جيشهم ، فتنبه لقيط بن يعمر الأيادي ، الذي كان يعمل مترجما عند كسرى ، إلى نية الفرس بغزو اياد ، فأرسل شعرا مكتوبا على صحيفة يحذرهم فيه من نية الفرس:

سلام بالصحيفة من لقيط على من بالجزيرة من اياد

بان الليت يأتيكم دلاقا فلا يحسبكم شوك القتاد

انظر : محمود الألوسي ، *بلوغ الأرب* ، (ج٣٧٣/٣)

: أحمد الحوفي ، *الحياة العربية من الشعر الجاهلي* ، (ص-٤٠)

: د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٢٦٧م٨)

١٤٢- وتتلخص قصة صحيفة المقاطعة في أن قريش تعاهدت على مقاطعة بني هاشم ، وبني عبد المطلب ، عندما رفض بنو هاشم التخلي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتبت قريش صحيفة المقاطعة وعلقتها في الكعبة.

انظر : أحمد الحوفي ، *الحياة العربية من الشعر الجاهلي* ، (ص - ٣٦)

١٤٣- ذكر محمد بن سلام الجمحي في كتابه ، *طبقات الشعراء* ، (ص - ٩١): أن قريش وجدت في صحيفة أحد الأيام بيتين من الشعر مكتوبين على باب دار الندوة:

الهى قريش عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير

وأكلها اللحم بحتا لا خليط له وقولها: رحلت عير أتت عير

انظر : أحمد الحوفي ، *الحياة العربية من الشعر الجاهلي* ، (ص ٣٧)

١٤٤- عرض الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، في كتابه ، *تاريخ الآداب العربية* ، (ج١٨٣/٣-١٨٩) لموضوع المعلقات ونفى تعليقها على جدار الكعبة.

انظر : د. شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* (ج١٤٠/١)

: د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٢٥٠/٩-٢٦٥)

١٤٥- جاء تحديد هوية بناة الكعبة في سياق القصيدة ، عندما مدح زهير كلا من هرم بن سنان والحارث بن عوف ، اللذين قاما بالصلح بين عبس وذبيان ، فاقسم بالبيت الحرام ذاكرا من بناه ، وقد قدم قريش على جرهم لأجل القافية ، وليس المقصود بهذا التقديم تزييف التاريخ ، وانما أشراك القبيلتين بنفس العمل بدون تحديد زمني.

انظر : *ديوان* زهير ، (ص:٢٣)

: الزوزني ، *شرح المعلقات السبع* ، (ص-٩٢)

١٤٦- انظر : سورة البقرة ، الآية : ١٢٧:

: *"واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل"* .

١٤٧- انظر : ابن السائب الكلبي ، *الاصنام*

: محمود الالوسي ، *بلوغ الأرب* ، (ج١٩٤/٣-٢١١)

: أحمد الحوفي ، *الحياة العربية من الشعر الجاهلي* ،(ص: ٣٨٠ - ٤٠١)

: د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٢١٢/٦ - ٣٣٥)

١٤٨- انظر : القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية: ١٣٥

"قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين" سورة آل عمران ، الآية : ي٦٧

"ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" .

سورة آل عمران ، الآية : ٩٥:

"قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين"

سورة النساء ، الآية : ١٢٥:

"واتبع ملة ابراهيم حنيفا..."

سورة النحل ، الأية :١٢٠ :

" ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا..."

سورة النحل ، الآية : ١٢٣ :

" ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا..."

انظر : محمود شكري الألوسي ، *بلوغ الأرب* ، (ج١٩٦/٣)

: د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٤٤٩/٩-٥١٠)

١٤٩- ذكر ابن الكلبي في كتابه ، *الأصنام* ، (ص: ٥- ٨) : أن الأصل في عبادة الأصنام هو تفرق أولاد إسماعيل عليه السلام ، فلما تفرقوا وارتحلوا عن مكة كانوا يحملون معهم حجارة من الحرم ، "تعظيما للحرم وصبابة بمكة" وكانوا يطوفون حول هذه الحجارة كطوافهم بالكعبة ،"بالرغم من زيارتهم لمكة وحجهم للبيت" ، ثم استقر بهم الأمر إلى عبادة هذه الحجارة وإلى عبادة الأوثان التي كانت سائدة قبل االحنيفية ، وتأكد انتماؤهم إلى الوثنية وتخليهم عن الحنيفية عندما انتزع عمرو بن لحى أمر مكة فاحضر تماثيل حجرية من الشام ونصبها حول الكعبة.

انظر : محمود شكري الألوسي ، *بلوغ الأرب* ، (ج٢٠٠/٣)

: د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٤٥٠/٦)

١٥٠- ريام بيت لحمير يقع في مدينة صنعاء ، وهدم في عهد تبع ، وقد قال فيه الأفوه الأودي

شعرا أورده الهمداني في ، *الاكليل* ، (ج٦٦/٨):

انا بنو أود الذي بلوائه صعبت رئام وقد غزاها الأجدع

انظر : ابن الكلبي ، الأصنام ، (ص-١١)

١٥١- ذكر ابن الكلبي ، في كتابه ، *الأصنام* ، (ص:١٩-٢٠): ان الغبغب هو منحر مخصص لنحر هدايا العزى. بينما ذكر جواد علي ، في كتابه *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٢٢٨/٦): أن الغبغب عبارة عن حفرة تحت اللات تحفظ فيها الهدايا والنذور والأموال المقدمة للات ، ولم يذكر د. جواد علي

المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات ، كما أن الطبري الذي ذكر قصة هدم اللات ، في كتابه ، *تاريخ الطبري* ، (ج٣/٩٨-١٠٠)، لم يلمح بشيء عن الغبغب وبهذا نميل إلى ترجيح رأي ابن الكلبي.

١٥٢- ذكر ابن الكلبي ، *الأصنام* ، (ص - ٣٤) : أن ذي الخلصة "كان مروة" بيضاء منقوشة ، عليها كهيئة التاج. وكانت بتباله ، بين مكة واليمن"

انظر :د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٦/٢٧٠-٢٧٣، ٤٤٥)

١٥٣- ذكر ابن الكلبي ، *الأصنام* ، (ص-٤٥): أن كعبة اياد كانت في منطقة سنداد بين الكوفة والبصرة ، وأنها كانت منزلا شريفا وليست بيت عبادة.

انظر : د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٦/٢٢٨)

١٥٤- ذكر بن الكلبي ، *الأصنام* ، (ص:٢٧-٢٨): أن هبل كان من أعظم أصنام قريش وكان موضوعا في جوف الكعبة ، وهو من العقيق الأحمر منحوت على صورة الإنسان ، ومكسور اليد اليمنى ، وقد جعلت له قريشا يدا من ذهب عوضا عن اليد المكسورة.

انظر : د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام* ، (ج٦/٢٥٠-٢٥٣)

١٥٥- إضافة إلى المصادر والمراجع التي ذكرناها سابقا مثل *الأصنام* ، *وبلوغ الأرب*... انظر : ياقوت *الحموي* ، *معجم البلدان* ، (ج٤/٤٦٣)

: القزويني ، *آثار البلاد وأخبار العباد* ، (ص: ١١٣ - ١١٥)

١٥٦- ذكر د. جواد علي ، في كتابه ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٦/٤١٧)، بناء كعبة نجران بالجلد ونسب ذلك إلى ابن الكلبي ، وبالرجوع إلى كتاب *الأصنام* ، (ص: ٤٤ - ٤٥)، لم نجد ذكرا للجلد كمادة بناء لكعبة نجران.

١٥٧- اعتبر د. جواد علي ، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* ، (ج٦/٦٥٨-٦٥٩)، أن الناقوس هو العنصر الذي يميز معابد النصارى من معابد اليهود والوثنيين ، وقد قام بحصر الأبيات الشعرية التي ورد فيها ذكر الناقوس.

١٥٨- حنت قلوصي بها والليل مطرق بعد الهدوء وشاقتها النواقيس

نقلا عن المرجع السابق.

١٥٩- وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقيس

نقلا عن المرجع السابق.

١٦٠- وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب

نقلا عن المرجع السابق ، *وديوان* الأعشى ، (ص - ١١)

١٦١- وقد سبأت لفتيان ذوى كرم قبل الصباح ولما تقرع النقس

نقلا عن المرجع السابق.

١٦٢- كانت بداية اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالدين المسيحي في عهد الإمبراطور قسطنطين (٢٨٨-٣٧٠)، عندما دعا إلى مؤتمر نيقيه سنة ٣٢٥م ، ثم نقل عاصمته إلى بيزنطه (القسطنطينية) سنة ٣٣٠، وذكر المسعودي في كتابه ، *مروج الذهب* ، (ج١/٣٥٠-٣٥٤) أن "أم قسطنطين هيلانه قامت ببناء الكنائس في بلاد الشام بعد مؤتمر نيقيه". ومنذ هذا الوقت ابتدأت المسيحية باستعارة أشكال كنائسها من المباني الرومانية المعروفة "بالبازيليكا" والتي كانت تقام في روما لخدمة الأغراض التجارية.

انظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١/١٥٣/١٥٧)

ولمعرفة وظيفة البازيليكا ، انظر موسوعة كولومبيا الأمريكية ، مدخل الباء.

١٦٣- "... واذا صليتم فادخلوا بيوتكم ، واغلقوا أبوابكم ولا يسمعكم أحد...."

انظر : اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، (ج١/٧٠)

:*انجيل برنابا* ، (ص:٥٣ - ٦٤)

١٦٤- " ولا تهتموا بمعاشكم ، ولا ما تأكلون ، ولا ما تشربون ، ولا ما تلبسون ، وانظروا إلى طير السماء لا يزرعن ، ولا يحصدن ، ولا يجمعن في البيوت...."

انظر : اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، (ج١/٧١)

:*انجيل برنابا* ، (ص : ٥٣ - ٦٤)

١٦٥- المسيحية دين عاطفي لا يحوي فكرا قادرا على إبراز أية ظاهرة حضارية كالفن والعمارة فأي دراسة عميقة وتحليلية للإنجيل لن تثري فكر القارئ في شئ ، فلا تفكر في أمر الخلق ولا شواهد على دقة نظام الكون ، ولا تنظيم للمجتمع ، ولا دستور دنيوي ولا حث على العلم ، ولا فلسفة للتاريخ ، ولا منهج اقتصادي....

١٦٦- ذكر الهمداني ، في *الإكليل* ، (ج٨/٦٦)، كلمة "المساجد" لتدل على معابد وهياكل الحضارة العربية اليمنية قبل الإسلام.

١٦٧- انظر : الهامش (رقم - ١٦٢)

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أحمد الحوفي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٢م.
- إدارة الآثار والمتاحف: مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ، ٣٩٥ هـ ، ١٩٧٩ م.
- أسامة بن منقذ: (٤٨٨ - ٥٨٤هـ) المنازل والديار ، جزءان ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٩م.
- الأعشى ، ميمون بن قيس ، ديوانه ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت. بدون تاريخ نشر.
- الألوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ٣ أجزاء ، منشورات أمين دمج ودار الشرق العربي ، بيروت بدون تاريخ نشر.
- انجيل برنابا ، تحقيق سيف الدين أحمد فاضل ، دار القلم الكويت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م
- البغدادي ، عبد اللطيف ، (٥٧٧ - ٥٦٢٩)، الافادة والاعتبار ، تحقيق أحمد سبانو ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.
- بديع العابد ، الفكر المعماري العربي -جذوره وأبعاده- التفسير التاريخي ، بحث مقدم إلى ندوة الحضارة الاسلامية ، المنعقدة في الكويت ، ١٧- ١٢/٢٠/ ١٩٨٤م.
- البكري - عبد الله (المتوفي ٤٨٧هـ) معجم ما استعجم ، ٤ أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.
- البلاذري ، ابي العباس ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (المتوفي ٢٧١هـ) ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧م.
- البيروني ، أبو الريحان ، محمد بن أحمد (المتوفي في ٤٤٠ هـ ، ١٠٤٨م) الآثار الباقية من القرون الخالية ، طبعة ليبزغ ، برلين ، ١٨٧٨م.
- التبريزي ، يحيى بن علي ، الخطيب ، (٤٢١ - ٥٠٢هـ)، شرح اختيارات المفضل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.
- الجاحظ ، عمرو بن حرب ، (١٥٠-٢٥٥هـ)، الحيوان ، ٧ أجزاء ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٣٨-١٩٤٥م.
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ١٠ أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦م.
- جرجي زيدان ، تاريخ الآداب العربية ، ٤ أجزاء ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٧م.
- ابن رشيق ، أبو على الحسن ابن رشيق ، (٣٩٠-٤٥٦هـ)، العمدة ، جزءان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، دار الجيل ، دمشق ١٩٧٢م.
- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ) تاج العروس ، مطبعة حكومة الكويت ، متسلسل الصدور.
- زهير بن أبي سلمى ، ديوانه ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٩٦٨م.
- الزوزني ، الحسن بن أحمد ، شرح المعلقات السبع ، مكتبة محمد علي صالح ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
- ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي ، (المتوفي ٢٣٢هـ) طبقات الشعراء ، غير مذكور اسم الناشر أو سنة النشر.
- السياغي ، حسين أحمد ، معالم الآثار اليمنية ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٠م.
- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ٥ أجزاء ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ نشر.
- الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، (المتوفي ٣١٠هـ)، ١١ مجلد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

- طرفة بن العبد ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.
- طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، الطبعة الرابعة عشرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م.
- عبد الرحمن الأنصاري ، قرية الفاو ، جامعة الرياض ، (١٣٧٥ - ١٤٠٢هـ)
- عبد الرحمن الأنصاري وآخرون ، مواقع أثرية مصورة من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٤م.
- عبد العظيم قناوي ، الوصف في الشعر الجاهلي ، الجزء الأول ، مصطفى البابي الحلبي ،١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.
- عنترة بن شداد ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.
- ابن قتيبة ، أبو محمد ، عبد الله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء ، دار أحياء العلوم ، بيروت ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ــ ، أدب الكاتب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
- ابن الكلبي ، هشام بن محمد السائب الكلبي ، (المتوفي ٢٠٤هـ)، الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.
- لبيد بن أبي ربيعة ، ديوانه ، شرح وتحقيق احسان عباس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ،١٩٦٢م.
- محمد عزة دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ١٣جزءا ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
- محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير ، ٣ أجزاء ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
- المسعودي ، على بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨١م.
- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ٣ أجزاء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م.
- النابغة الذبياني ، ديوانه ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.
- ناجي زين الدين المصرف ، مصور الخط العربي ، مكتبة النهضة بغداد ، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م
- ــ ، موسوعة الخط العربي ، جزءان ، دار الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٤م.
- ابن النديم ، محمد بن أسحق بن يعقوب ، (٢٩٧ - ٣٧٨هـ)، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، (المتوفي ٣٥٠هـ)، الاكليل ، الجزء الثامن ، تحقيق آمين فارس ، دار العودة ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.
- ــ ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق الآكوع الحوالي ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- الوردي ، سراج الدين ، خريدة العجائب ، مطبعة الشيخ عثمان ، القاهرة ، ١٣٠٩هـ.
- ياقوت الحموي ، (المتوفي ٦٢٦هـ،١٢٢٨م)، معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر بيروت ، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (المتوفي ٢٨٤هـ أو ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي ، جزءان دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ نشر.

من مؤلفات الدكتور بديع العابد:

- *Al-Hifadh al-M`amariy fiy al-Hadhara al-Arabiya al-Islamiyyha*, (2010)

الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية

Architectural Conservation In Arabic Islamic Civilization, published by The Islamic Educational Scientific and Cultural Organization (ISESCO), Rabat – Morocco.

- The Architectural Identity Of Jerusalem, The Dome Of The Rock Or The So-Called Temple, (2009)

الهوية المعمارية للقدس – قبة الصخرة أمْ الهيكل المزعوم

published by the support of The Ministry of Culture in the occasion Jerusalem is the Capital of Arabic Culture, Amman – Jordan.

- Al-Markiz ath-Taqleadiy li-Madinat al-Quds Baiyn ath-Tawasol wa-Taquwied – Dawer at-Thakhtiyt al-'Omraniy fiy al-Quada``ala Hawiytoho al-M`mariya. (2008)

المركز التقليدي لمدينة القدس بين التواصل والتقويض– دور التخطيط العمراني في القضاء على هويته المعمارية

The Traditional Center Of Jerusalem Between Continuity & Destruction The Role Of Urban Planning In Destroying Its Architectural Identity, published by The Cultural Department, Great Municipality of Amman, Amman – Jordan.

- Co-Editor of the Proceeding Book of The Fifth Scientific Conference of the Jordanian Society for the History of Science, ar-Riydhiyat Fi al-Hadhara al-Arabiya al-Islamiya – `Alim wa `Alim, (Mathematics In Arabic Islamic Civilization – Science & Scientist)

الرياضيات في الحضارة العربية الإسلامية علم وعالم

Published by The Jordanian Society For The History Of Arabic Science, Dar al-Yaquot, Amman – Jordan, 2008.

- Co-Editor of the Proceeding Book of The Fourth Scientific Conference Of Jordanian Society For The History Of Science), (The Role Of Arabic Islamic Science In The Progress Of Western Science)

دور التراث العلمي العربي الإسلامي في المنجزات العلمية الغربية

Published by The Jordanian Society For The History Of Arabic Science, Dar Wael, Amman – Jordan, 2004.

- Ph.D. Thesis, Aspects *Of Arabic Islamic Architectural Discourse*, published by The Technical University Of Delft, With ISBN No. 909005005-1, April 1st, 1992.
- Editor Of The *Special* Architectural Issue Of *The Magazine Of The Jordanian Engineer*, published in the occasion of the 7th Architectural Week, No., 51, 29th June, 1993.